موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

ندوات تلفزيونية

قناة رأس الخيمة

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

ندوات تلفزيونية - قناة رأس الخيمة - ندوات مختلفة - الندوة (1) : جائزة رأس الخيمة للقرآن الكريم - مفهومات الطاعة - إعجاز الله في مخلوقاته.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 04-03-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

لكل إنسان حاجة عليا إن لم تلبَ هبط عن مستوى إنسانيته :

أيها الأخوة الكرام ، أشكر لكم هذه الدعوة التي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي ، وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم .

الإنسان بادئ ذي بدء : عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك .

غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، إن لبيت هذه الحاجات الثلاث تفوق الإنسان ، أما إذا لبى واحدة على حساب الاثنتين تطرف الإنسان ، وفرق كبير جداً بين التفوق وبين التطرف .

شيء آخر : الجماد شيء مادي ، يشغل حيزاً في الفراغ ، له وزن ، وأبعاد ثلاثة ، هذا هو الجماد .

بينما النبات ، شيء أيضاً مادي ، يشغل حيزاً في الفراغ ، وله أبعاد ثلاثة ، لكنه ينمو ، فالنمو هو الفرق بين الجماد والنبات .

أما الحيوان فشيء أيضاً يشغل حيزاً في الفراغ ، وله أبعاد ثلاثة ، وينمو كالنبات لكنه يتحرك .

أما الإنسان شيء يشغل حيزاً في الفراغ ، وله أبعاد ثلاثة ، وينمو ، ويتحرك ، ويفكر .

إذاً في الإنسان حاجة عليا إن لم تلبَ هذه الحاجة هبط عن مستوى إنسانيته ، إلى مستوى لا يليق به ، قال تعالى يصف أهل الكفر والضلال ، يصف الذين شردوا عنه ، الذين لم يبحثوا عن الحقيقة :

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ)

(سورة النحل الآية : 21)

(إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)

(سورة الفرقان)

ما لم تلبَ الحاجة إلى معرفة الحقيقة والعمل وفقها هبط الإنسان عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به .

معرفة الله تعالى أعظم إنجاز يحققه الإنسان في الحياة الدنيا :

أيها الأخوة الكرام ، لعل أعظم إنجاز يحققه الإنسان في الدنيا أن يعرف الله :

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[من تفسير ابن كثير]

يؤكد هذه الحقيقة قول الله عز وجل :

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

(سورة النساء)

كتوضيح لهذه الآية ، لو أن طفلاً عقب العيد قال لعمه : معي مبلغ عظيم ، كم يقدر هذا المبلغ ؟ بالمئات ، لو أن مسؤولاً في دولة عظمى قال : أعددنا لهذه الحرب مبلغاً عظيماً ، يقدر بمئات المليارات.

فإذا قال ملك الملوك ، ومالك الملوك ، إذا قال خالق السماوات والأرض :

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

يجب أن نعتقد أنه ما من عملٍ في الدنيا يفوق أن نعرف الله ، من أدلة هذا المعنى قول الله عز وجل :

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا)

لام التعليل .

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)

(سورة الطلاق)

حينما نعلم أن علم الله يطولنا ، وأن قدرته تطولنا ، لا يمكن أن نعصيه ، والمثل بسيط : أنت حينما تقود مركبة ، والإشارة حمراء ، فإذا تجاوزتها التقطت لك صورة ، ودفعت الثمن باهظاً ، إذا أيقنت أن واضع قانون السير علمه يطولك ، وقدرته تطولك ، لا يمكن أن تعصيه ، هذا مع إنسان ، فكيف مع الواحد الديان ؟.

من آثر الآخرة على الدنيا ربحهما معاً :

أيها الأخوة ، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل .

طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً ، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً .

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

(سورة الكهف)

((من كانت الآخرة همه ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه ، جعل الله الفقر بين عينيه ، وفرق الله عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

لا تصح حركة الإنسان في الدنيا إلا إذا عرف سرّ وجوده :

أيها الأخوة الكرام ، سؤال بسيط : إنسان ذهب إلى باريس ، نزل في أحد فنادقها ، و بعد أن استيقظ تناول طعام الإفطار ثم سأل إلى أين أذهب ؟ نقول له : عجيب هذا السؤال ، لا تعلم إلى أين تذهب ؟ لماذا جئت إلى هنا ؟ أنت من دمشق ! لماذا جئت إلى باريس ؟ إن جئت طالب علم اذهب إلى المعاهد والجامعات ، وإن جئت تاجراً اذهب إلى المعامل والمؤسسات ، وإن جئت سائحاً اذهب إلى المقاصف والمتنزهات .

ماذا نستنبط من هذه المقولة ؟ لا يمكن أن تصح حركتك في مكان ما إلا إذا عرفت سر وجودك فيها ، طالب ؟ في حركة ، تاجر ؟ في حركة ، سائح ؟ في حركة ، لا تصح حركتك في مكان ما إلا إذا عرفت لماذا جئت إلى هذا المكان ، هذا مثل بسيط ، لو وسعناه لماذا نحن في الدنيا ؟ هذا أخطر سؤال ، مع الأسف الشديد معظم الناس يتحركون بلا هدف ، بقصد أنه يعيش فقط .

لذلك ينبغي أن تعلم هل أنت تعيش أم تحيا ؟ قال تعالى :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)

(سورة طه الآية : 124)

يعيش ، يأكل ، ويشرب ، وينام ، إلى أن يفاجأ بالأجل ، أما الله عز وجل حينما قال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 24)

أنت بالإيمان تحيا ، يحيا قلبك ، تسمو مشاعرك ، يتوضح هدفك ، تعمل لجنة عرضها السماوات والأرض ، لا تتضعضع أمام قوي ، ولا أمام غني .

((شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس))

[أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد]

لذلك لابدّ من طلب العلم ، لا يمكن أن يكون طلب العلم بشكل غير مركز ، يُعلن عن محاضرة نحضرها ، نحضر عقد قران يقوم أحد الدعاة يلقي كلمة ، لا ، لابد من طلب العلم من أجل أن تسلم وتسعد .

الله عز وجل هو الصانع وهو الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تُتبع تعليماتها :

أخواننا الكرام ، على وجه الأرض ستة آلاف مليون إنسان ، ما منهم واحد إلا وهو يحب وجوده ، ويحب سلامة وجوده ، ويحب كمال وجوده ، ويحب استمرار وجوده ، هذا الكلام ينطبق على أي إنسان كائناً من كان ، مسلم ، غير مسلم ، ملحد ، كافر ، أي إنسان على وجه الأرض جُبل ، وفُطر ، وبُرمج ، وولف على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، و على حبّ استمرار وجوده ، سلامة وجودك في تطبيق تعليمات الصانع ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الصانع العظيم ، صنع الله الذي أتقنه .

أيها الأخوة ، الله عز وجل هو الصانع ، والجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الجهة الصانعة .

(أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)

(سورة البقرة الآية : 21)

فالجهة الصانعة وحدها ينبغي أن تطاع ، إن كنت حريصاً على سلامتك وسعادتك ، واستمرار وجودك، سلامتك بطاعة الله .

الإسلام منهج موضوعي :

بالمناسبة العلاقة بين الأمر ونتائجه علاقة علمية ، أي علاقة سبب بنتيجة .

كيف لو أن الصغير إن وضع يده على المدفأة ستحترق ، العلاقة بين احتراق اليد ووضع اليد على المدفأة علاقة علمية ، والعلاقة بين النهي والنتيجة علاقة علمية .

لذلك يقال : الإسلام منهج موضوعي ، بمعنى لو أن ملحداً طبقه لقطف ثماره في الدنيا .

(مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)

(سورة البقرة الآية : 102)

منهج موضوعي ، الأمر في بذور نتائجه ، والنهي في بذور نتائجه ، لأن هذا الأمر من عند الخبير .

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(سورة فاطر)

من لم يستقم على أمر الله لن يقطف من ثمار الدين شيئاً :

أيها الأخوة ، العلاقة بين الأمر ونتائجه ، وبين النهي ونتائجه علاقة علمية ، فأنت انطلاقاً من ذاتك ، انطلاقاً من حبك لسلامتك ، من حبك لكمال وجودك ، من حبك لاستمرار وجودك ، ينبغي أن تستقيم على أمر الله ، لا شك أن عدداً منكم يعمل في التجارة ، التجارة كم نشاط فيها ؟ هناك شراء محل ، شراء مستودعات ، شراء مكتب استيراد ، تعيين موظفين ، كل هذه النشاطات لا قيمة لها إطلاقاً إن لم تربح ، فيمكن أن تضغط التجارة كلها في كلمة واحدة التجارة تعني الربح ، ويمكن أن يضغط الدين كله في كلمة واحدة هي الاستقامة ، ما لم تستقم على أمر الله لن تقطف من ثمار الدين شيئاً ، يبقى الدين ثقافة ، خلفية إسلامية ، نزعة إسلامية ، مشاعر إسلامية ، اهتمامات إسلامية ، أرضية إسلامية ، الإسلام شيء ، والمشاعر والأرضية والخلفية والنزعة شيء آخر .

لذلك كما قال عليه الصلاة والسلام :

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

العبادة سرّ وجود الإنسان على وجه الأرض :

أيها الأخوة ، هذا تمهيد ، لماذا نحن في الدنيا ؟ الله أخبرنا ، قال :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

فالعبادة سرّ وجودنا على وجه الأرض ، ما العبادة ؟ المشكلة الكبيرة أن معظم المسلمين يتوهمون العبادة على أنها عبادة شعائرية ليس غير ، أي صوم ، وصلاة ، وحج ، وزكاة ، مع أن :

((ترك دانق من حرام خير من ثماني حجة بعد الإسلام))

[ورد في الأثر]

((من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله))

[مسند الشهاب عن أنس بن مالك]

فالموضوع الآن موضوع العبادة ما مفهومها ؟ من أدق تعريفات العبادة أنها طاعة طوعية ، ليست قسرية ، الأقوياء يطاعون قسراً ، لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون علاقتك به علاقة حب .

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية : 54)

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية : 165)

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية : 256)

أصل الدين معرفة الله عز وجل :

إذاً العبادة ليست طاعة قسرية لكنها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، هذا التعريف فيه كليات ثلاث ، كلية سلوكية ، استقامة ، طاعة ، ما عبد الله من أحبه ولم يطيعه ، ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه ، طاعة طوعية ، سلوك ، انضباط ، وقوف عند حدود الله .

ليس الولي الذي يمشي على وجه الماء إطلاقاً ، وليس الولي الذي يطير في الهواء ، ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام ، أن يراك حيث أمرك ، وأن يفتقدك حيث نهاك ، هذا هو الولي ، ومن أدق تعريفات الولي في القرآن الكريم :

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

(سورة يونس)

فالعبادة طاعة طوعية ، سلوك ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية هذا التعريف فيه كليات ثلاث ، كلية سلوكية ، لا يوجد عندنا في الإسلام إعجاب سلبي ، إسلامنا عظيم ، ديننا عظيم ، نبينا سيد الأنبياء ، ما لم تلتزم ، ما لم يراك حيث أمرك ، ما لم يفتقدك حيث نهاك ، ما لم تعطِ لله ، ما لم تمنع لله، ما لم ترضَ لله ، ما لم تغضب لله ، ما لم تصل لله ، ما لم تقطع لله ، فلست في المستوى الناجي من عذاب الله ، طاعة طوعية أساسها معرفة يقينية ، أصل الدين معرفة الله .

أيها الأخوة ، هذه المرحلة المكية التي وجه النبي أصحابه الكرام فيها إلى معرفة الله ، أنت حينما تعرف الآمر ثم تعرف الأمر تتفانى في طاعة الآمر ، أما حينما تعرف الأمر ولا تعرف الآمر تتفنن في التفلت من الأمر ، وهذا حال بعض المسلمين ، عرفوا الأمر أن هناك صلاة و صوم و حج ، و أن الكذب حرام ، والسرقة حرام ، والغش حرام ، و الاحتيال حرام ، و الكبر حرام ، عرفوا الأمر ولكنهم ما عرفوا الآمر ، إذا عرفت الآمر ، ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر .

أمثلة عن إعجاز الله عز وجل :

لذلك هذه الطاعة الطوعية مسبوقة بمعرفة يقينية ، بعض الأمثلة :

أخواننا الكرام بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب لها أربع سنوات ضوئية ، و ليأخذ أخوتنا الكرام فكرة عن أربع سنوات ضوئية نقول لهم : الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كم ، بالدقيقة ضرب ستين ، بالساعة ضرب ستين ، باليوم ضرب أربع وعشرين ، بالسنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ، بأربع سنوات ضرب أربعة ، ابنك الصغير بالصف التاسع على آلة حاسبة يمكن أن يقدم لك الرقم الذي يفصلنا عن هذا النجم الملتهب ، يخرج رقماً ، تصور لو أن هناك طريقاً معبداً لهذا النجم ، معك سيارة ، والسرعة مئة ، قسم المسافة على مئة ، كم ساعة تحتاج ؟ قسم المسافة على أربع وعشرين كم يوم ؟ قسمها على ثلاثمئة وخمسة وستين كم سنة ؟ من أجل أن تصل إلى أقرب نجم ملتهب عدا المجموعة الشمسية تحتاج إلى خمسين مليون عام ، معنى أربع سنوات ضوئية أي ستقود مركبة مدة تقدر بخمسين مليون عام .

كل أعمارنا تقدر بستين ، أو سبعين ، هذا أقرب نجم ملتهب ، متى نصل إلى نجم القطب ؟ أربعة آلاف سنة ضوئية ، متى نصل إلى مجرة اسمها المرأة المسلسلة ؟ مليونا سنة ضوئية ، متى نصل إلى مكتشف حديثاً بعده عنا 24 مليار سنة ضوئية ، الأربع سنوات ضوئية تحتاج إلى خمسين مليون عام ، 24 مليار سنة ضوئية ؟! الآن اقرأ بقوله تعالى :

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ)

(سورة الواقعة)

الكون شاهد على أن الله سبحانه و تعالى موجود وواحد وكامل :

لذلك :

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

(سورة فاطر الآية : 28)

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، هذا الإله العظيم يعصى ؟ هذا الإله العظيم ألا يطاع ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟ ألا يخطب وده ؟.

فلـو شاهدت عيناك من حسنن ا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنـا

ولـو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لــقربنا

ولـو لاح من أنوارنا لك لائح تركت جميع الكائنات لأجلنـــا

*** * ***

أيها الأخوة الكرام ، لابدّ من أن نعرف الله أولاً ، وهذا الكون يشهد له أنه موجود ، وواحد ، وكامل ، بربكم إذا قرأت آية فيها أمر ماذا يقتضي هذا الأمر ؟ أن تأتمر ، وإذا قرأت آية فيها نهي ، ماذا يقتضي هذا النهي ؟ أن تنتهي ، وإذا قرأت آية فيها مشهد من مشاهد أهل الجنة ، ماذا تقتضي هذه الآية ؟ أن تسعى للجنة ، وإذا قرأت آية فيها مشهد من مشاهد أهل النار ، ماذا تقتضي منك هذه الآية ؟ أن تفر من النار ، وإذا قرأت آية عن قوم أهلكم الله عز وجل ، ماذا تقتضي منك هذه الآية ؟ أن تعتبر .

الآن السؤال : إذا قرأت ما يزيد عن ألف آية تتحدث عن الكون ماذا تقتضي منك هذه الآيات ؟ أن تتفكر في خلق السماوات والأرض .

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

(سورة آل عمران)

التفكر في خلق السماوات والأرض دليل معرفة الله تعالى :

أخواننا الكرام ، بين الأرض والشمس 156 مليون كم ، والشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة ، قال الله عز وجل :

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ)

(سورة البروج)

في أبراج السماء برج اسمه برج العقرب ، فيه نجم صغير أحمر اللون متألق اسمه قلب العقرب ، هذا النجم الصغير المتألق الذي اسمه قلب العقرب يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما .

(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

(سورة غافر)

لذلك التفكر في خلق السماوات والأرض دليل معرفة الله ، وطريق معرفة الله قال تعالى :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(سورة الزمر الآية : 67)

إذاً العبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، معرفة .

جسم الإنسان أعظم آية للتفكر في عظمة الخالق سبحانه :

1 ـ العين :

أيها الأخوة ، لو انتقلنا إلى جسم الإنسان ، برأس معظم الناس من الشعر ثلاثمئة ألف شعرة ، لكل شعرة وريد ، وشريان ، وعصب ، وعضلة ، وغدة دهنية ، وغدة صبغية ، بدماغ الإنسان 140 مليار خلية ، لم تعرف وظيفتها بعد .

هذه آلات التصوير آلات احترافية غالية جداً ، بالميليمتر منها يوجد عشرة آلاف مستقبل ضوئي ، أما بالشبكية يوجد بالميليمتر مئة مليون مستقبل ضوئي .

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)

(سورة البلد)

العين فيها ماء ، لو ذهبت إلى بلد كفنلندا ، الحرارة تقدر بتسع و ستين درجة تحت الصفر ، الإنسان في هذه البلاد الباردة جداً يضع قبعة ، يلبس قفازات ، يرتدي معطفاً سميكاً ، جوارب صوفية ، ثياباً سميكة ، هل يستطيع من يعيش هناك أن يغطي عينيه ؟ العين فيها ماء ، الماء على تماس مع هذه الحرارة ، إذاً يجب أن يفقد الإنسان بصره هناك ، لكن رحمة الله أنه أودع في ماء العين مادة مضادة للتجمد ، يد من ؟ حكمة من ؟ علم من ؟ .

أخواننا الكرام ، هذا الماء الذي أمامي فيه خاصة لولاها لما كان هذا اللقاء ، ولما كانت رأس الخيمة كلها ، ولا دمشق ، ولا سوريا ، ولا بلد بالعالم ، هذا الماء شأنه شأن أي عنصر في الأرض ، تسخنه يتمدد ، تبرده ينكمش ، كأي عنصر ، إلا أنه ينفرد من بين جميع العناصر أنك إذا بردته انكمش ، أي زادت كثافته ، فالماء المتجمد يغوص إلى أعماق البحار ، بعد حقب من الزمان تتجمد البحار كلها ، وينعدم التبخر ، و تنعدم الأمطار ، وييبس النبات ، ويموت الحيوان ، ويموت الإنسان .

الله عز وجل يدعونا إلى التفكر ، ورد في بعض الأحاديث :

((تفكر ساعة خير من عبادة سنة))

[ابن حبان عن أبي هريرة]

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)

(سورة القدر)

أي ثمانون عاماً تعبد الله عبادة جوفاء ، أفضل منها أن تتعرف إلى الله ، إن عرفته عرفت كل شيء .

2 ـ الغشاء العاقل :

أيها الأخوة الكرام ، لو تابعنا بعض الآيات ، حينما يولد الجنين ينزل معه قرص لحمي اسمه المشيمة عند الأطباء ، و الخلاص عند العوام ، و لا أعلم ما اسمه عندكم ، هذا القرص اللحمي يقوم بأعمال لا يصدقها العقل ، هذا القرص تجتمع فيه دورة دم الجنين مع دورة دم الأم ، ودم الجنين زمرة ، ودم الأم زمرة ، ولا يختلطان ، لو اختلطا لمات الجنين وأمه فوراً ، لو أعطيناه الآن دماً من زمرة أخرى يموت فوراً ، كيف لا يختلطان ؟ قال : بينهما غشاء ، هذا الغشاء سماه الأطباء الغشاء العاقل ، يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء .

يأخذ هذا الغشاء السكر من دم الأم ويطرحه في دم الجنين ، فقام هذا الغشاء مقام جهاز الهضم ، ثم يأخذ الأوكسجين من دم الأم ويطرحه في دم الجنين ، قام مقام جهاز التنفس ، ثم يأخذ الأنسولين من دم الأم يضعه في دم الجنين ، قام مقام البنكرياس ، صار في دم الجنين سكر ، أوكسجين ، أنسولين ، يحترقون ، يحترق السكر بالأوكسجين عن طريق الأنسولين ، تتشكل طاقة عند الجنين ، الجنين حرارته 37 ، من أين جاءت ؟ من احتراق السكر ، الناتج ثاني أكسيد الكربون يأخذه الغشاء العاقل من دم الجنين ويضعه في دم الأم فجزء من نفس الأم ، نفس جنينها .

الآن يأخذ هذا الغشاء من دم الأم كل عوامل المناعة ، أي جميع الأمراض التي أصيبت أمه بها عوامل المناعة الناتجة عن هذه الأمراض تنقل إلى دم الجنين ، فالجنين محصن من كل الأمراض التي أصيبت بها أمه .

الآن هذا الغشاء العاقل يمنع مرور التسمم إلى دم الجنين ، لو أن الأم لا سمح الله تسممت بمادة غذائية قاتلة هذا السم لا يصل إلى دم الجنين .

الآن هذا الغشاء يقوم بأعمال مذهلة ، يعلم كم يحتاج الجنين من مواد غذائية من سكريات ، من مواد دسمة ، من شحوم ، من معادن ، من أشباه معادن ، من فيتامينات ، ينفذ هذا المشروع ، ويأخذ من دم الأم ما يحتاجه الجنين من مواد غذائية ، وكل ساعة تتبدل النسب بحسب نمو الجنين ، لو اجتمع أطباء الأرض لا يستطيعون القيام بمهمات الغشاء العاقل .

الآن يتم الاستقلاب بدم الجنين ، أي يتحول الغذاء ، البروتينات ، الشحوم ، إلى أنسجة ، هذه العملية اسمها الاستقلاب ، من نواتجها حمض البول ، الغشاء العاقل يأخذ حمض البول من دم الجنين ويضعه في دم الأم ، فجزء من بول الأم بول جنينها ، لو أن الجنين أمه فقيرة ، غذاؤها غير صحي بحاجة إلى

بوتاس ، ماذا يفعل هذا الجنين ؟ يحتاج إلى بوتاس ، لا يوجد لغة تخاطب مع أمه ، ما الطريقة ؟ الغشاء العاقل يلقي في شهوة الأم طعاماً فيه بوتاس ، فالأم الحامل تشتهي بعض الأطعمة النادرة ، شهوتها لهذا الطعام هو في الحقيقة تلبية لحاجات الجنين .

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)

(سورة الطور)

أيها الأخوة الكرام ، التفكر في خلق السماوات والأرض يضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله .

عبادة الهوية :

أيها الأخوة الكرام ، تحدثنا عن عبادة الهوية ، الغني له عبادة ، والقوي له عبادة ، والعالم له عبادة ، والمرأة لها عبادة ، لكن هناك عبادة العصر ، أي إذا أراد الآخر أن يفقر المسلمين فالعبادة الأولى استخراج الثروات ، واستصلاح الأراضي ، وإنشاء السدود ، وتنمية الدخل ، ليكون المال قوة بيد المسلمين ، فالمال قوة ، والعلم قوة ، والمنصب قوة ، وإذا أراد الآخر إضلالنا ، فعقد المؤتمرات ، وتأليف الكتب ، وإلقاء المحاضرات ، وتنوير الشباب أول عبادة .

صدر كتاب في بعض المدن العربية أن إله محمد قمعي ، أما آلهة قريش ديمقراطيون ، لأن أحدهم قبل الآخر .

الآن هناك تطاول على أصول الدين ، من قبل كان هناك تطاول على فروع الدين ، الآن التطاول على سيد الأنبياء والمرسلين ، لذلك الفضل لله عز وجل ، أنا أكتب مقالة تترجم إلى اللغة الإنكليزية كل أسبوع في الدانمرك عن رسول الله ، إن أراد الآخر إضلالنا ينبغي أن نوضح معالم هذا الدين ، ينبغي أن نرد على الشبهات ، ينبغي أن نمحق الضلالات ، الآن إن أراد إفسادنا بهذه الفضائيات فقد قال بعض المفكرين : كان الغرب يجبرنا على أن نفعل ما يريد بالقوة المسلحة ، الآن يجبرنا على أن نريد ما يريد بالقوة الناعمة المرأة ، إن أراد إفقارنا ينبغي أن ننمي ثرواتنا ليكون المال قوة بأيدينا ، إن أراد إضلالنا ينبغي أن نوضح معالم هذا الدين ، وأن نرد على كل الشبهات ، وإن أراد إفسادنا ينبغي أن نصون شبابنا وشاباتنا من كل انحراف ، وإن أراد إذلالنا ينبغي أن نضحي بالغالي والرخيص ، والنفس والنفيس .

المبادئ هي الأساس لا الأشخاص :

سيدنا عمر هذا الخليفة العظيم جاءه جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة مسلماً ، رحّب به أشد الترحيب ، في أثناء طواف جبلة حول الكعبة بدوي من قبيلة فزارة داس عن غير قصد طرف ردائه ، فانخلع الرداء عن كتفه ـ هو ملك ـ فالتفت نحو هذا البدوي وضربه ضربة هشمت أنفه ، ذهب هذا البدوي إلى عمر بن الخطاب يشكو ملك الغساسنة ، فاستدعاه ، ووقف أمامه على نفس الطريقة التي وقف بها هذا المظلوم ، هناك شاعر معاصر صاغ هذا الحوار شعراً ، قال سيدنا عمر لجبلة :

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة : لست ممن ينكر شيأ ، أنا أدبت الفتى ، أدركت حقي بيدي .

قال عمر : أرض الفتى ، لابد من إرضائه ، مازال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك ، و تنال ما فعلته كفك .

قال : كيف ذلك يا أمير ؟ هو سوقة ـ أي من دهماء الناس ، من عامة الناس ، من الخط العريض ، من الشارع المسلم ـ وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟

قال عمر : نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً .

فقال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني .

فقال عمر : عالم نبنيه ، كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

إن أرادوا إفقارنا ينبغي أن نطور بلادنا ، وأن نبني أمتنا ، إن أرادوا إضلالنا ينبغي أن نوضح معالم هذا الدين ، إن أرادوا إفسادنا ينبغي أن نصون شبابنا وشاباتنا .

سمعت في بلد إسلامي في شرقي آسيا ـ أعتقد ماليزيا ـ الصحن غرامته مليون ، أخلاق الأمة بيد من يتولى أمرها ، فهذه الصحون المفتوحة بلا قيد ولا شرط ، هذه مشكلة كبيرة جداً .

المعركة بين الحق و الباطل معركة أزلية أبدية :

الشيء الدقيق الآن إن أرادوا أن نغير هويتنا ينبغي أن نعتز بهويتنا ، وأن نعتز بديننا ، الحقيقة هناك معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل ، معركة نكون أو لا نكون ، معركة بقاء أو فناء ، وليس هناك حل وسط ، وترون وتسمعون ، هذا الذي جرى في غزة لم يتكلم أحد كلمة بالعالم كله ، وكأن دماءنا مستباحة .

فلذلك الله عز وجل قال :

(هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 119)

نرجو من الله سبحانه وتعالى أن نكون تحت هذه الآية الكريمة :

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ *وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)

(سورة القصص)

الإسلام منهج كامل يشمل كل جوانب الحياة :

أيها الأخوة الكرام ، والله لا أبالغ يتوهم المسلمون أن العبادة خمسة فروض ، أن تنطق بالشهادة ، وأن تصلي ، وتصوم ، وتحج ، وتزكي ، والله لا أبالغ قد تصل العبادة إلى خمسمئة ألف بند ، منهج الإله يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية ، منهج كامل ، كيف تأكل ، كيف تتزوج ، كيف تربي أولادك ، كيف تنام ، كيف تمضي وقت الفراغ ، ماذا تفعل مع من هم فوقك ، مع من هم دونك ، منهج كامل ، توهم المسلمون أنك إذا صليت ، وصمت ، وحججت ، وزكيت انتهى كل شيء .

ماذا قال سيدنا جعفر للنجاشي لما سأله عن الإسلام ؟

((كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

إن حدثك فهو صادق ، إن عاملك فهو أمين ، إن استثيرت شهوته فهو عفيف .

((فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

العبادة الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية :

لذلك أيها الأخوة ، عندنا عبادة شعائرية وعبادة تعاملية ، أخطر فكرة أقولها في هذا اللقاء أن العبادات الشعائرية لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، طالبوني بالدليل : لا يجرؤ إنسان على وجه الأرض أن يقول في الدين برأيه :

((يؤتى برجال يوم القيامة ، لهم أعمال كجبال تهامة ، يجعلها الله هباء منثورا ، قيل : يا رسول الله جلهم لنا ، قال : إنهم يصلون كما تصلون ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكن إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))

[سنن ابن ماجه عن ثوبان]

سأل النبي أصحابه :

((ما المُفْلِسُ ؟ قالوا : المفْلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شَتَمَ هذا ، وقذفَ هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيَتْ حَسَنَاتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه ، أخِذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه ، ثم يُطرَحُ في النار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

هذه في الصلاة ، لا يمكن أن تقطف ثمارها إن لم تستقم على أمر الله .

الصيام :

((رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر]

((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعملَ بِهِ ، فليسَ للهِ حاجة فِي أن يَدَعَ طعَامَهُ وشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

الحج :

((من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك ، قال الله له لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك))

[الشيرازي في الألقاب و أبو مطيع في أماليه عن عمر]

الزكاة :

(قُلْ أَنْفِقُوا طوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ)

(سورة التوبة)

أدلة ، قرآن ، وحديث صحيح ، العبادات الشعائرية لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية.

كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك :

الإسلام منهج كامل ، العبادة تعني أن تعبد الله في كل أوامره ، وقد قال علماء الأصول : كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، ما لم تكن هناك قرينة على خلاف ذلك ، هناك أمر إباحة .

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ)

(سورة البقرة الآية : 186)

و هناك أمر ندب :

(وانكحوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ)

(سورة النور الآية : 32)

و هناك أمر تهديد ، الآية الكريمة :

(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)

(سورة الكهف الآية : 29)

هذه لام الأمر ، أيعقل أن يأمر الله بالكفر ؟ هذا أمر تهديد .

إذاً هناك أمر تهديد ، و أمر إباحة ، و أمر ندب ، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك ، إذاً صار عندنا خمسمئة ألف أمر .

فيا أيها الأخوة الكرام ، العبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة رأس الخيمة - ندوات مختلفة - الندوة (2) : جائزة رأس الخيمة للقرآن الكريم - مفهوم العبادة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-05-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

لكل إنسان حاجة عليا إن لم تلب هبط عن مستوى إنسانيته:

أيها الأخوة الكرام، أشكر لكم هذه الدعوة التي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي، وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم.

الإنسان بادئ ذي بدء: عقل يدرك، وقلب يحب، وجسم يتحرك.

غذاء العقل العلم، وغذاء القلب الحب، وغذاء الجسم الطعام والشراب، إن لبيت هذه الحاجات الثلاث تفوق الإنسان، أما إذا لبى واحدة على حساب الاثنتين تطرف الإنسان، وفرق كبير جداً بين التفوق وبين التطرف.

شيء آخر: الجماد شيء مادي، يشغل حيزاً في الفراغ، له وزن، وأبعاد ثلاثة، هذا هو الجماد. بينما النبات، شيء أيضاً مادي، يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعاد ثلاثة، لكنه ينمو، فالنمو هو الفرق بين الجماد والنبات.

أما الحيوان فشيء أيضاً يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعاد ثلاثة، وينمو كالنبات لكنه يتحرك.

أما الإنسان شيء يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعاد ثلاثة، وينمو، ويتحرك ، ويفكر.

إذاً في الإنسان حاجة عليا إن لم تلبَ هذه الحاجة هبط عن مستوى إنسانيته، إلى مستوى لا يليق به، قال تعالى يصف أهل الكفر والضلال، يصف الذين شردوا عنه، الذين لم يبحثوا عن الحقيقة:

(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ)

(سورة النحل الآية: 21)

(إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (44))

(سورة الفرقان)

ما لم تلبَ الحاجة إلى معرفة الحقيقة والعمل وفقها هبط الإنسان عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به.

معرفة الله تعالى أعظم إنجاز يحققه الإنسان في الحياة الدنيا:

أيها الأخوة الكرام، لعل أعظم إنجاز يحققه الإنسان في الدنيا أن يعرف الله:

((ابن آدم اطلبنِي تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[من تفسير ابن كثير]

يؤكد هذه الحقيقة قول الله عز وجل:

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (113))

(سورة النساء)

كتوضيح لهذه الآية، لو أن طفلاً عقب العيد قال لعمه: معي مبلغ عظيم، كم يقدر هذا المبلغ ؟ بالمئات، لو أن مسؤولاً في دولة عظمى قال: أعددنا لهذه الحرب مبلغاً عظيماً، يقدر بمئات المليارات. فإذا قال ملك الملوك، ومالك الملوك، إذا قال خالق السماوات والأرض:

(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)

يجب أن نعتقد أنه ما من عملٍ في الدنيا يفوق أن نعرف الله، من أدلة هذا المعنى قول الله عز وجل:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ)

لام التعليل.

(لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (12))

(سورة الطلاق)

حينما نعلم أن علم الله يطولنا، وأن قدرته تطولنا، لا يمكن أن نعصيه، والمثل بسيط: أنت حينما تقود مركبة، والإشارة حمراء، فإذا تجاوزتها التقطت لك صورة، ودفعت الثمن باهظاً، إذا أيقنت أن واضع قانون السير علمه يطولك، وقدرته تطولك، لا يمكن أن تعصيه، هذا مع إنسان، فكيف مع الواحد الديان؟.

من أثر الأخرة على الدنيا ربحهما معاً:

أيها الأخوة، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل.

طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (104))

(سورة الكهف)

((من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله الفقر بين عينيه، وفرق الله عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له))

[الترمذي عن أنس بن مالك]

لا تصح حركة الإنسان في الدنيا إلا إذا عرف سر وجوده:

أيها الأخوة الكرام، سؤال بسيط: إنسان ذهب إلى باريس، نزل في أحد فنادقها، و بعد أن استيقظ تناول طعام الإفطار ثم سأل إلى أين أذهب ؟ نقول له: عجيب هذا السؤال، لا تعلم إلى أين تذهب ؟ لماذا جئت إلى هنا ؟ أنت من دمشق ! لماذا جئت إلى باريس ؟ إن جئت طالب علم اذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن جئت تاجراً اذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن جئت سائحاً اذهب إلى المقاصف والمتنزهات.

ماذا نستنبط من هذه المقولة ؟ لا يمكن أن تصح حركتك في مكان ما إلا إذا عرفت سر وجودك فيها، طالب ؟ في حركة، تاجر ؟ في حركة، سائح ؟ في حركة، لا تصح حركتك في مكان ما إلا إذا عرفت لماذا جئت إلى هذا المكان، هذا مثل بسيط، لو وسعناه لماذا نحن في الدنيا ؟ هذا أخطر سؤال، مع الأسف الشديد معظم الناس يتحركون بلا هدف، بقصد أنه يعيش فقط.

لذلك ينبغي أن تعلم هل أنت تعيش أم تحيا ؟ قال تعالى:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)

(سورة طه الآية: 124)

يعيش، يأكل، ويشرب، وينام، إلى أن يفاجأ بالأجل، أما الله عز وجل حينما قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

(سورة الأنفال الآية: 24)

أنت بالإيمان تحيا، يحيا قلبك، تسمو مشاعرك، يتوضح هدفك، تعمل لجنة عرضها السماوات والأرض، لا تتضعضع أمام قوي، ولا أمام غني.

((شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس))

[أخرجه الحاكم عن سهل بن سعد]

لذلك لابدّ من طلب العلم، لا يمكن أن يكون طلب العلم بشكل غير مركز، يُعلن عن محاضرة نحضرها، نحضر عقد قران يقوم أحد الدعاة يلقي كلمة، لا، لابد من طلب العلم من أجل أن تسلم وتسعد.

الله عز وجل هو الصانع وهو الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها:

أخواننا الكرام، على وجه الأرض ستة آلاف مليون إنسان، ما منهم واحد إلا وهو يحب وجوده، ويحب سلامة وجوده، ويحب كمال وجوده، ويحب استمرار وجوده ، هذا الكلام ينطبق على أي إنسان كائناً من كان، مسلم، غير مسلم، ملحد، كافر، أي إنسان على وجه الأرض جُبل، وفُطر، وبُرمج، وولف على حبّ وجوده، وعلى حبّ سلامة وجوده، وعلى حبّ كمال وجوده، و على حبّ استمرار وجوده، سلامة وجودك في تطبيق تعليمات الصانع، لأن الله سبحانه وتعالى هو الصانع العظيم، صنع الله الذي أتقنه.

أيها الأخوة، الله عز وجل هو الصانع، والجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الجهة الصانعة.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ)

(سورة البقرة الآية: 21)

فالجهة الصانعة وحدها ينبغي أن تطاع، إن كنت حريصاً على سلامتك وسعادتك، واستمرار وجودك، سلامتك بطاعة الله.

الإسلام منهج موضوعي:

بالمناسبة العلاقة بين الأمر ونتائجه علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة.

كيف لو أن الصغير إن وضع يده على المدفأة ستحترق، العلاقة بين احتراق اليد ووضع اليد على المدفأة علاقة علمية، والعلاقة بين النهي والنتيجة علاقة علمية.

لذلك يقال: الإسلام منهج موضوعي، بمعنى لو أن ملحداً طبقه لقطف ثماره في الدنيا.

(مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)

(سورة البقرة الآية: 102)

منهج موضوعي، الأمر في بذور نتائجه، والنهي في بذور نتائجه، لأن هذا الأمر من عند الخبير.

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14))

(سورة فاطر)

من لم يستقم على أمر الله لن يقطف من ثمار الدين شيئاً:

أيها الأخوة، العلاقة بين الأمر ونتائجه، وبين النهي ونتائجه علاقة علمية، فأنت انطلاقاً من ذاتك، انطلاقاً من حبك لسلامتك، من حبك لكمال وجودك، من حبك لاستمرار وجودك، ينبغي أن تستقيم على

أمر الله، لا شك أن عدداً منكم يعمل في التجارة، التجارة كم نشاط فيها ؟ هناك شراء محل، شراء مستودعات، شراء مكتب استيراد، تعيين موظفين، كل هذه النشاطات لا قيمة لها إطلاقاً إن لم تربح، فيمكن أن تضغط التجارة كلها في كلمة واحدة التجارة تعني الربح، ويمكن أن يضغط الدين كله في كلمة واحدة هي الاستقامة، ما لم تستقم على أمر الله لن تقطف من ثمار الدين شيئاً، يبقى الدين ثقافة، خلفية إسلامية، نزعة إسلامية، مشاعر إسلامية، اهتمامات إسلامية، أرضية إسلامية، الإسلام شيء، والمشاعر والأرضية والخلفية والنزعة شيء آخر.

لذلك كما قال عليه الصلاة والسلام:

((ولن يُغْلَبَ اثنا عَشَرَ ألفا مِنْ قِلَّةٍ))

[أخرجه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عباس]

العبادة سر وحود الإنسان على وجه الأرض:

أيها الأخوة، هذا تمهيد، لماذا نحن في الدنيا ؟ الله أخبرنا، قال:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56))

(سورة الذاريات)

فالعبادة سرّ وجودنا على وجه الأرض، ما العبادة ؟ المشكلة الكبيرة أن معظم المسلمين يتوهمون العبادة على أنها عبادة شعائرية ليس غير، أي صوم، وصلاة، وحج ، وزكاة، مع أن:

((ترك دانق من حرام خير من ثماني حجة بعد الإسلام))

[ورد في الأثر]

((من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله))

[مسند الشهاب عن أنس بن مالك].

فالموضوع الآن موضوع العبادة ما مفهومها ؟ من أدق تعريفات العبادة أنها طاعة طوعية، ليست قسرية، الأقوياء يطاعون قسراً، لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن تكون علاقتك به علاقة حب.

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية: 54)

(وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية: 165)

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية: 256)

أصل الدين معرفة الله عز وجل:

إذاً العبادة ليست طاعة قسرية لكنها طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، هذا التعريف فيه كليات ثلاث، كلية سلوكية، استقامة، طاعة، ما عبد الله من أحبه ولم يطيعه، ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه، طاعة طوعية، سلوك، انضباط، وقوف عند حدود الله.

ليس الولي الذي يمشي على وجه الماء إطلاقاً، وليس الولي الذي يطير في الهواء، ولكن الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام، أن يراك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك، هذا هو الولي، ومن أدق تعريفات الولي في القرآن الكريم:

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63))

(سورة يونس)

فالعبادة طاعة طوعية، سلوك، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية هذا التعريف فيه كليات ثلاث، كلية سلوكية، لا يوجد عندنا في الإسلام إعجاب سلبي، إسلامنا عظيم، ديننا عظيم، نبينا سيد الأنبياء، ما لم تلتزم، ما لم يراك حيث أمرك، ما لم يفتقدك حيث نهاك، ما لم تعطِ لله، ما لم تمنع لله، ما لم ترضَ لله، ما لم تغضب لله، ما لم تصل لله، ما لم تقطع لله، فلست في المستوى الناجي من عذاب الله، طاعة طوعية أساسها معرفة يقينية، أصل الدين معرفة الله.

أيها الأخوة، هذه المرحلة المكية التي وجه النبي أصحابه الكرام فيها إلى معرفة الله، أنت حينما تعرف الآمر ثم تعرف الأمر تتفانى في طاعة الآمر، أما حينما تعرف الأمر ولا تعرف الآمر تتفنن في التفلت من الأمر، وهذا حال بعض المسلمين، عرفوا الأمر أن هناك صلاة و صوم و حج، و أن الكذب حرام، والسرقة حرام، والغش حرام، و الاحتيال حرام، و الكبر حرام، عرفوا الأمر ولكنهم ما عرفوا الآمر، إذا عرفت الآمر، ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر.

أمثلة عن إعجاز الله عز وجل:

لذلك هذه الطاعة الطوعية مسبوقة بمعرفة يقينية، بعض الأمثلة:

أخواننا الكرام بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب لها أربع سنوات ضوئية، و ليأخذ أخوتنا الكرام فكرة عن أربع سنوات ضوئية نقول لهم: الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كم، بالدقيقة ضرب ستين، بالساعة ضرب ستين، باليوم ضرب أربع وعشرين، بالسنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، بأربع سنوات ضرب أربعة، ابنك الصغير بالصف التاسع على آلة حاسبة يمكن أن يقدم لك

الرقم الذي يفصلنا عن هذا النجم الملتهب، يخرج رقماً، تصور لو أن هناك طريقاً معبداً لهذا النجم، معك سيارة، والسرعة مئة، قسم المسافة على مئة، كم ساعة تحتاج ؟ قسم المسافة على أربع وعشرين كم يوم ؟ قسمها على ثلاثمئة وخمسة وستين كم سنة ؟ من أجل أن تصل إلى أقرب نجم ملتهب عدا المجموعة الشمسية تحتاج إلى خمسين مليون عام، معنى أربع سنوات ضوئية أي ستقود مركبة مدة تقدر بخمسين مليون عام.

كل أعمارنا تقدر بستين، أو سبعين، هذا أقرب نجم ملتهب، متى نصل إلى نجم القطب ؟ أربعة آلاف سنة ضوئية، متى نصل إلى مجرة اسمها المرأة المسلسلة ؟ مليونا سنة ضوئية، متى نصل إلى مكتشف حديثاً بعده عنا 24 مليار سنة ضوئية، الأربع سنوات ضوئية تحتاج إلى خمسين مليون عام، 24 مليار سنة ضوئية ؟! الآن اقرأ بقوله تعالى:

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ (77))

(سورة الواقعة)

الكون شاهد على أن الله سبحانه وتعالى موجود وواحد وكامل:

لذلك:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

(سورة فاطر الآية: 28)

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، هذا الإله العظيم يعصى ؟ هذا الإله العظيم ألا يطاع ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟ ألا يخطب وده ؟.

فلـو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولـو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنـا

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لــقربنا

ولـو لاح من أنوارنا لك لائح تركت جميع الكائنات لأجلنــا

* * *

أيها الأخوة الكرام، لابدّ من أن نعرف الله أولاً، وهذا الكون يشهد له أنه موجود، وواحد، وكامل، بربكم إذا قرأت آية فيها أمر ماذا يقتضي هذا الأمر ؟ أن تأتمر، وإذا قرأت آية فيها نهي، ماذا يقتضي هذا النهي ؟ أن تنتهي، وإذا قرأت آية فيها مشهد من مشاهد أهل الجنة، ماذا تقتضي هذه الآية ؟ أن

تسعى للجنة، وإذا قرأت آية فيها مشهد من مشاهد أهل النار، ماذا تقتضي منك هذه الآية ؟ أن تفر من النار، وإذا قرأت آية عن قوم أهلكم الله عز وجل، ماذا تقتضي منك هذه الآية ؟ أن تعتبر. الآن السؤال: إذا قرأت ما يزيد عن ألف آية تتحدث عن الكون ماذا تقتضي منك هذه الآيات ؟ أن تتفكر في خلق السماوات والأرض.

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191))

(سورة آل عمران)

التفكر في خلق السماوات والأرض دليل معرفة الله تعالى:

أخواننا الكرام، بين الأرض والشمس 156 مليون كم، والشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، قال الله عز وجل:

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1))

(سورة البروج)

في أبراج السماء برج اسمه برج العقرب، فيه نجم صغير أحمر اللون متألق اسمه قلب العقرب، هذا النجم الصغير المتألق الذي اسمه قلب العقرب يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما.

(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64))

(سورة غافر)

لذلك التفكر في خلق السماوات والأرض دليل معرفة الله، وطريق معرفة الله قال تعالى:

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67))

(سورة الزمر الآية: 67)

إذاً العبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، معرفة.

جسم الإنسان أعظم أية للتفكر في عظمة الخالق سبحانه:

1 - العين:

أيها الأخوة، لو انتقلنا إلى جسم الإنسان، برأس معظم الناس من الشعر ثلاثمئة ألف شعرة، لكل شعرة وريد، وشريان، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، بدماغ الإنسان 140 مليار خلية، لم تعرف وظيفتها بعد.

هذه آلات التصوير آلات احترافية غالية جداً، بالميليمتر منها يوجد عشرة آلاف مستقبل ضوئي، أما بالشبكية يوجد بالميليمتر مئة مليون مستقبل ضوئي.

(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8))

(سورة البلد)

العين فيها ماء، لو ذهبت إلى بلد كفنلندا، الحرارة تقدر بتسع و ستين درجة تحت الصفر، الإنسان في هذه البلاد الباردة جداً يضع قبعة، يلبس قفازات، يرتدي معطفاً سميكاً، جوارب صوفية، ثياباً سميكة، هل يستطيع من يعيش هناك أن يغطي عينيه ؟ العين فيها ماء، الماء على تماس مع هذه الحرارة، إذاً يجب أن يفقد الإنسان بصره هناك، لكن رحمة الله أنه أودع في ماء العين مادة مضادة للتجمد، يد من ؟ حكمة من ؟ علم من ؟.

أخواننا الكرام، هذا الماء الذي أمامي فيه خاصة لولاها لما كان هذا اللقاء، ولما كانت رأس الخيمة كلها، ولا دمشق، ولا سوريا، ولا بلد بالعالم، هذا الماء شأنه شأن أي عنصر في الأرض، تسخنه يتمدد، تبرده ينكمش، كأي عنصر، إلا أنه ينفرد من بين جميع العناصر أنك إذا بردته انكمش، أي زادت كثافته، فالماء المتجمد يغوص إلى أعماق البحار، بعد حقب من الزمان تتجمد البحار كلها، وينعدم التبخر، و تنعدم الأمطار، وييبس النبات، ويموت الحيوان، ويموت الإنسان.

الله عز وجل يدعونا إلى التفكر، ورد في بعض الأحاديث:

((تفكر ساعة خير من عبادة سنة))

[ابن حبان عن أبي هريرة]

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3))

(سورة القدر)

أي ثمانون عاماً تعبد الله عبادة جوفاء، أفضل منها أن تتعرف إلى الله، إن عرفته عرفت كل شيء.

2 ـ الغشاء العاقل:

أيها الأخوة الكرام، لو تابعنا بعض الآيات، حينما يولد الجنين ينزل معه قرص لحمي اسمه المشيمة عند الأطباء، و الخلاص عند العوام، و لا أعلم ما اسمه عندكم، هذا القرص اللحمي يقوم بأعمال لا يصدقها العقل، هذا القرص تجتمع فيه دورة دم الجنين مع دورة دم الأم، ودم الجنين زمرة، ودم الأم زمرة، ولا يختلطان، لو اختلطا لمات الجنين وأمه فوراً، لو أعطيناه الآن دماً من زمرة أخرى يموت فوراً، كيف لا يختلطان ؟ قال: بينهما غشاء، هذا الغشاء سماه الأطباء الغشاء العاقل، يقوم بأعمال يعجز عنها العقلاء.

يأخذ هذا الغشاء السكر من دم الأم ويطرحه في دم الجنين، فقام هذا الغشاء مقام جهاز الهضم، ثم يأخذ الأوكسجين من دم الأم ويطرحه في دم الجنين، قام مقام جهاز التنفس، ثم يأخذ الأنسولين من دم الأم يضعه في دم الجنين، قام مقام البنكرياس، صار في دم الجنين سكر، أوكسجين، أنسولين، يحترقون، يحترق السكر بالأوكسجين عن طريق الأنسولين، تتشكل طاقة عند الجنين، الجنين حرارته 37، من أين جاءت ؟ من احتراق السكر، الناتج ثاني أكسيد الكربون يأخذه الغشاء العاقل من دم الجنين ويضعه في دم الأم فجزء من نفس الأم، نفس جنينها.

الآن يأخذ هذا الغشاء من دم الأم كل عوامل المناعة، أي جميع الأمراض التي أصيبت أمه بها عوامل المناعة الناتجة عن هذه الأمراض تنقل إلى دم الجنين، فالجنين محصن من كل الأمراض التي أصيبت بها أمه.

الآن هذا الغشاء العاقل يمنع مرور التسمم إلى دم الجنين، لو أن الأم لا سمح الله تسممت بمادة غذائية قاتلة هذا السم لا يصل إلى دم الجنين.

الآن هذا الغشاء يقوم بأعمال مذهلة، يعلم كم يحتاج الجنين من مواد غذائية من سكريات، من مواد دسمة، من شحوم، من معادن، من أشباه معادن، من فيتامينات، ينفذ هذا المشروع، ويأخذ من دم الأم ما يحتاجه الجنين من مواد غذائية، وكل ساعة تتبدل النسب بحسب نمو الجنين، لو اجتمع أطباء الأرض لا يستطيعون القيام بمهمات الغشاء العاقل.

الآن يتم الاستقلاب بدم الجنين، أي يتحول الغذاء، البروتينات، الشحوم، إلى أنسجة، هذه العملية اسمها الاستقلاب، من نواتجها حمض البول، الغشاء العاقل يأخذ حمض البول من دم الجنين ويضعه في دم الأم، فجزء من بول الأم بول جنينها، لو أن الجنين أمه فقيرة، غذاؤها غير صحي بحاجة إلى بوتاس، ماذا يفعل هذا الجنين ؟ يحتاج إلى بوتاس، لا يوجد لغة تخاطب مع أمه، ما الطريقة ؟ الغشاء العاقل يلقي في شهوة الأم طعاماً فيه بوتاس، فالأم الحامل تشتهي بعض الأطعمة النادرة، شهوتها لهذا الطعام

هو في الحقيقة تلبية لحاجات الجنين.

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35))

(سورة الطور .

أيها الأخوة الكرام، التفكر في خلق السماوات والأرض يضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله.

عبادة الهوية:

أيها الأخوة الكرام، تحدثنا عن عبادة الهوية، الغني له عبادة، والقوي له عبادة، والعالم له عبادة، والمرأة لها عبادة، لكن هناك عبادة العصر، أي إذا أراد الآخر أن يفقر المسلمين فالعبادة الأولى استخراج الثروات، واستصلاح الأراضي، وإنشاء السدود، وتنمية الدخل، ليكون المال قوة بيد المسلمين، فالمال قوة، والعلم قوة، والمنصب قوة، وإذا أراد الآخر إضلالنا، فعقد المؤتمرات، وتأليف الكتب، وإلقاء المحاضرات، وتنوير الشباب أول عبادة.

صدر كتاب في بعض المدن العربية أن إله محمد قمعي، أما آلهة قريش ديمقراطيون، لأن أحدهم قبل الآخر.

الآن هناك تطاول على أصول الدين، من قبل كان هناك تطاول على فروع الدين ، الآن التطاول على سيد الأنبياء والمرسلين، لذلك الفضل لله عز وجل، أنا أكتب مقالة تترجم إلى اللغة الإنكليزية كل أسبوع في الدانمرك عن رسول الله، إن أراد الآخر إضلالنا ينبغي أن نوضح معالم هذا الدين، ينبغي أن نرد على الشبهات، ينبغي أن نمحق الضلالات، الآن إن أراد إفسادنا بهذه الفضائيات فقد قال بعض المفكرين: كان الغرب يجبرنا على أن نفعل ما يريد بالقوة المسلحة، الآن يجبرنا على أن نريد ما يريد بالقوة الناعمة المرأة، إن أراد إفقارنا ينبغي أن ننمي ثرواتنا ليكون المال قوة بأيدينا، إن أراد إضلالنا ينبغي أن نوضح معالم هذا الدين، وأن نرد على كل الشبهات، وإن أراد إفسادنا ينبغي أن نصون شبابنا وشاباتنا من كل انحراف، وإن أراد إذلالنا ينبغي أن نضحي بالغالي والرخيص، والنفس والنفيس.

المبادئ هي الأساس لا الأشخاص:

سيدنا عمر هذا الخليفة العظيم جاءه جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة مسلماً، رحّب به أشد الترحيب، في أثناء طواف جبلة حول الكعبة بدوي من قبيلة فزارة داس عن غير قصد طرف ردائه، فانخلع الرداء عن كتفه ـ هو ملك ـ فالتفت نحو هذا البدوي وضربه ضربة هشمت أنفه، ذهب هذا البدوي إلى عمر بن الخطاب يشكو ملك الغساسنة، فاستدعاه، ووقف أمامه على نفس الطريقة التي وقف بها هذا المظلوم،

هناك شاعر معاصر صاغ هذا الحوار شعراً، قال سيدنا عمر لجبلة:

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟

قال جبلة: لست ممن ينكر شيأ، أنا أدبت الفتى، أدركت حقي بيدي.

قال عمر: أرض الفتى، لابد من إرضائه، مازال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك، و تنال ما فعلته كفك.

قال: كيف ذلك يا أمير ؟ هو سوقة ـ أي من دهماء الناس، من عامة الناس ، من الخط العريض، من الشارع المسلم ـ وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟

قال عمر: نزوات الجاهلية، ورياح العنجهية قد دفناها، أقمنا فوقها صرحاً جديداً، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً.

فقال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني.

فقال عمر: عالم نبنيه، كل صدع فيه يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى.

إن أرادوا إفقارنا ينبغي أن نطور بلادنا، وأن نبني أمتنا، إن أرادوا إضلالنا ينبغي أن نوضح معالم هذا الدين، إن أرادوا إفسادنا ينبغي أن نصون شبابنا وشاباتنا.

سمعت في بلد إسلامي في شرقي آسيا ـ أعتقد ماليزيا ـ الصحن غرامته مليون ، أخلاق الأمة بيد من يتولى أمرها، فهذه الصحون المفتوحة بلا قيد ولا شرط، هذه مشكلة كبيرة جداً.

المعركة بين الحق والباطل معركة أزلية أبدية:

الشيء الدقيق الآن إن أرادوا أن نغير هويتنا ينبغي أن نعتز بهويتنا، وأن نعتز بديننا، الحقيقة هناك معركة أزلية أبدية بين الحق والباطل، معركة نكون أو لا نكون ، معركة بقاء أو فناء، وليس هناك حل وسط، وترون وتسمعون، هذا الذي جرى في غزة لم يتكلم أحد كلمة بالعالم كله، وكأن دماءنا مستباحة.

فلذلك الله عز وجل قال:

(هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ)

(سورة آل عمران الآية: 119)

نرجو من الله سبحانه وتعالى أن نكون تحت هذه الآية الكريمة:

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6))

(سورة القصص)

الإسلام منهج كامل يشمل كل جوانب الحياة:

أيها الأخوة الكرام، والله لا أبالغ يتوهم المسلمون أن العبادة خمسة فروض، أن تنطق بالشهادة، وأن تصلي، وتصوم، وتحج، وتزكي، والله لا أبالغ قد تصل العبادة إلى خمسمئة ألف بند، منهج الإله يبدأ من فراش الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، منهج كامل، كيف تأكل، كيف تتزوج، كيف تربي أولادك، كيف تنام، كيف تمضي وقت الفراغ، ماذا تفعل مع من هم فوقك، مع من هم دونك، منهج كامل، توهم المسلمون أنك إذا صليت ، وصمت، وحججت، وزكيت انتهى كل شيء.

ماذا قال سيدنا جعفر للنجاشي لما سأله عن الإسلام ؟

((كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

إن حدثك فهو صادق، إن عاملك فهو أمين، إن استثيرت شهوته فهو عفيف.

((فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه ابن خزيمة عن جعفر بن أبي طالب]

العبادة الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية:

لذلك أيها الأخوة، عندنا عبادة شعائرية وعبادة تعاملية، أخطر فكرة أقولها في هذا اللقاء أن العبادات الشعائرية لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية، طالبوني بالدليل: لا يجرؤ إنسان على وجه الأرض أن يقول في الدين برأيه:

((يؤتى برجال يوم القيامة، لهم أعمال كجبال تهامة، يجعلها الله هباء منثورا، قيل: يا رسول الله جلهم لنا، قال: إنهم يصلون كما تصلون، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكن إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))

[سنن ابن ماجه عن ثوبان].

سأل النبي أصحابه:

((ما المُفْلِسُ ؟ قالوا: المفْلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع. قال : إن المفْلسَ مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شَتَمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا،

فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيَتْ حَسَناتُهُ قبل أن يُقْضى ما عليه، أخِذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه، ثم يُطْرَحُ في النـار))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

هذه في الصلاة، لا يمكن أن تقطف ثمارها إن لم تستقم على أمر الله.

الصيام:

((رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عمر]

((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعمَلَ بِهِ، فليسَ لِلهِ حاجة فِي أن يَدَعَ طعَامَهُ وشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

الحج:

((من حج بمال حرام فقال: لبيك اللهم لبيك، قال الله له لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك))

[الشيرازي في الألقاب و أبو مطيع في أماليه عن عمر]

الزكاة:

(قُلْ أَنْفِقُوا طوْعاً أوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قوْماً فاسِقِينَ (53))

(سورة التوبة)

أدلة، قرآن، وحديث صحيح، العبادات الشعائرية لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية.

كل أمر في القران الكريم يقتضي الوجوب مالم تقم قرينة على خلاف ذلك:

الإسلام منهج كامل، العبادة تعني أن تعبد الله في كل أوامره، وقد قال علماء الأصول: كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، ما لم تكن هناك قرينة على خلاف ذلك، هناك أمر إباحة.

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ)

(سورة البقرة الآية: 186)

وهناك أمر ندب:

(وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ)

(سورة النور الآية: 32)

وهناك أمر تهديد، الآية الكريمة:

(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)

(سورة الكهف الآية: 29)

هذه لام الأمر، أيعقل أن يأمر الله بالكفر ؟ هذا أمر تهديد.

إذاً هناك أمر تهديد، و أمر إباحة، و أمر ندب، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك، إذاً صار عندنا خمسمئة ألف أمر.

فيا أيها الأخوة الكرام، العبادة طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية.

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة رأس الخيمة - ندوات مختلفة - الندوة (3) : الحسنى وزيادة - العطاء في الإسلام .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 02-09-2009

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ وائل :

دكتور راتب نتكلم عن نشأة هذه الأسرة العريقة في العلم ، كيف انتقل العلم عبر أجيال الأسرة الكريمة؟

كلمة عطاء تذكر بقيم سامية جداً :

الدكتور راتب :

لكن لا بدّ من تعليق على كلمة عطاء ، مرة اطلعت على كتاب يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مؤلف الكتاب قدم هذا الكتاب لرسول الله فقال : " يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ ، يا من قدست الوجود كله ورعيت قضية الإنسان ، يا من زكيت سيادة العقل ، ونهنهت غريزة القطيع ، يا من هيأك تفوقك لتكون واحداً فوق الجميع فعشت واحداً بين الجميع ، يا من كانت الرحمة مهجتك ، والعدل شريعتك ، والحب فطرتك ، والسمو حرفتك ، ومشكلات الناس عبادتك" .

الحقيقة أن كلمة عطاء تذكرني بموضوع دقيق جداً ، هو أنه يقع على رأس الهرم البشري زمرتان كبيرتان ؛ الأنبياء والأقوياء ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، فالنبي أعطى ولم يأخذ ، القوي أخذ ولم يعطِ ، النبي ملك القلوب ، والقوي ملك الرقاب ، وشتان بين أن تملك رقبة الإنسان وبين أن تملك قلبه ، النبي عاش للناس ، والقوي عاش الناس له ، والناس جميعاً تبعٌ لقوي أو نبي ، لهذا أحب الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء ، وبطولة الأقوياء أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء حتى يحبهم الناس .

البشر عند الله نموذجان لا ثالث لهما :

1 ـ رجل عرف الله فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسعد في الدنيا والآخرة :

هذا الذي نتحدث عنه موضوع خطير جداً ، ذلك أن البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، هؤلاء جميعاً عند الله نموذجان لا ثالث لهما ، النموذج الأول عرف الله فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه ، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، والنموذج الآخر غفل عن الله، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه ، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة ، هذا المعنى تؤكده الآية الكريمة :

(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

صدق أنه مخلوق للجنة فاتقى أن يعصي الله ، و بنى حياته على العطاء ، يعطي من وقته كما تفضلت، من ماله ، من جهده ، من علمه ، يسعده العطاء لا يسعده الأخذ .

2 ـ و رجل غفل عن الله فتفلت من منهجه وأساء إلى خلقه فهلك في الدنيا والآخرة :

والنموذج الآخر لما غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه ، زهد في الاستقامة ، استغنى عن طاعة الله :

(وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

(سورة الليل)

إذاً لن تجد نموذجاً ثالثاً ، فإما أن تبني حياتك على العطاء ، أنت من أتباع الأنبياء ، وإما أن تبني حياتك على الأخذ أنت من أتباع الأقوياء ، فلذلك كلمة عطاء تذكر بقيم سامية جداً .

حجم الإنسان عند الله بحجم عطائه لا بحجم أخذه :

هناك شيء آخر يتحدث عنه العلماء ، الإنسان حينما يعطي يسعد ، هناك من يسعد بالأخذ ، وهناك من يسعد بالعطاء ، الذي يسعد بالعطاء هو الأريحي ، يرتاح للعطاء ، والحقيقة الدقيقة أن حجم الإنسان عند الله بحجم عطائه ، لا بحجم أخذه ، هذه مقدمة متعلقة بما تفضلت به في مطلع هذا اللقاء الطيب .

الأستاذ وائل :

وإن كان الأخذ في العلم أو الأخذ في المال أو الأخذ في كذا ، يأخذ من مناحي الحياة الشرعية .

الدكتور راتب :

هذا له وضع خاص ، يأخذ ويعطي ، لا يعطي قبل أن يؤخذ .

الأستاذ وائل :

وأحياناً يأخذ العلم ويكتمه ، نرى هذا كثيراً .

الدكتور راتب :

لذلك الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، والمؤمن يتبع الأنبياء إذاً يبني حياته على العطاء .

الأستاذ وائل :

يسأل سائل أليس النبي قوي بالله ، لماذا يتخيل السائل أن النبي كان ضعيفاً لم يكن قوياً ؟

الحكمة من ضعف النبي الكريم في بداية دعوته :

الدكتور راتب :

أستاذ وائل في البداية كان النبي ضعيفاً ليكون الذي يؤمن به إيمانه خالصاً لله ، لو أنه قوي لأقبل الملايين على الإيمان به طمعاً بما عنده ، وخوفاً من عقابه ، لكن الله أراد للأنبياء في مرحلة من حياتهم أن يكونوا ضعفاء ، سيد الخلق وحبيب الحق يرى ياسر يعذب أمامه يقول : " صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة" .

فلذلك لأنه ضعيف كان الإيمان به خالصاً ، أما الأقوياء الإيمان بهم واضح خوفاً منهم ، أو طمعاً بما عندهم .

الأستاذ وائل :

كما قالت الجن عن سليمان : ما لبثنا في العذاب ، هذا كان خوفاً من سليمان .

الدكتور راتب :

الإنسان يقوى بالله ، وأنا أقول لك حقيقة دقيقة أنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

لماذا ؟ لأن خيارات العمل الصالح أمام المؤمن القوي كبيرة جداً ، ولأن سرّ وجودنا في الدنيا العمل الصالح ، والدليل الإنسان حينما يموت يقول :

(رَبِّ ارْجِعُونِ (99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ)

(سورة المؤمنون)

لأن علة وجود الإنسان بعد الإيمان بالله العمل الصالح .

الإنسان يقوى بالله و خيارات العمل الصالح أمام المؤمن القوي كبيرة جداً :

الإنسان الغني بماله ، أو القوي بسلطانه ، أو المتفوق بعلمه ، أمامه خيارات لا تعد ولا تحصى في العطاء ، لذلك كان هناك ما يسمى بعبادة الهوية أنت من ؟ أنت قوي العبادة الأولى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، أنت عالم العبادة الأولى قوله تعالى :

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ (39))

(سورة الأحزاب)

لأنهم لو خافوا من غير الله لسكتوا عن الحق خوفاً ، ولتكلموا بالباطل تقرباً ، انتهت دعوتهم ، أما القوي والغني ، الغني العبادة الأولى إنفاق المال ، كما أن هناك عبادة عامة تشمل جميع المؤمنين أن يؤمن بالأركان الخمسة ، وأن يصلي ، ويصوم إلى آخره ، هناك عبادة الهوية ، فالغني عبادته الأول إنفاق المال ، والقوي عبادته الأولى إحقاق الحق ، والعالم العبادة الأولى النطق بالحق دون أن تأخذه بالله لومة لائم ، والمرأة العبادة الأولى رعاية الزوج والأولاد ، أن تعبد الله فيما أقامها ، هذه العبادة يغفل عنها معظم المسلمين ، لذلك العطاء من سمات المؤمن ، يعطي كثمن للجنة ، يعطي وقد يأخذ ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا .

الأستاذ وائل :

تريد أن تصنف الإنسان نفسه فترى أي عطاء الله فيه أكبر فيبدأ بالإنفاق منه ، هذا ما أردته ، الغني ينظر في ماله ، والعالم ينظر في علمه ، والقوي ينظر في قوته ، ثم يبدأ يخرج من هذا لله عز وجل .

الدكتور راتب :

أي يستخدم ما ميزه الله به للآخرة ، والدليل :

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا (77))

(سورة القصص)

هذا فيما يتعلق بالعطاء والأخذ .

الأستاذ وائل :

هذا معنى جميل ، نعود إلى حضرتك .

نشأة الدكتور محمد راتب النابلسي :

الدكتور راتب :

والله العبد الفقير نشأ في أسرة أولاً حظها من الدين كثير ، كان والدي أحد علماء دمشق ، ونشأت في بيئة صالحة ، والوضع المالي ليس جيداً ، فالطريق الوحيد أمامي هو العلم ، لذلك هناك كلمة يقولها الإمام الغزالي أنه : "ليس في الإمكان أبدع مما كان" ، أي أنت مخير ، مخير فيما كلفت ، أمرك بالصلاة أنت مخير تصلي أو لا تصلي ، أمرك بالصدق أنت مخير تصدق أو لا تصدق لا سمح الله ، ففيما كلفك الله أنت مخير ، لكن من منا خيره الله في كونه ذكراً أو أنثى ؟ أنا مسير بجنسي ، مسير بأمي وأبي ، مسير بمدينتي ، مسير بتاريخ ميلادي ، الزمان ، والمكان ، والأب ، والأم ، والجنس ذكر أم أنثى ، بأي زمن ولدت ، بأي مكان ، هذه أشياء أمي وأبي لم أختارهما ، هذه الأشياء التي سيرك الله بها هي أكمل شيء لك، هذا الذي قاله الإمام الغزالي : " ليس في الإمكان أبدع مما كان "، أي ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني ، فالذي سيرك الله له كمال مطلق لك ، لذلك الخلائق كلها يوم القيامة تعاملها مع الله بكلمة واحدة :

(وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أنِ الحَمْدُ لِلَّه رَبِّ العالَمِينَ)

(سورة يونس الآية : 10)

الأستاذ وائل :

وكان في البداية الحمد لله رب العالمين .

الدكتور راتب :

أنا العبد الفقير نشأت بأسرة متواضعة حظها من العلم كثير ، فهذه النشأة اقتضت أن أطلب العلم ، والحقيقة سيدنا علي يقول : " العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، يا بني مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة " .

فلذلك أنا تعلقت بالعلم في بداية حياتي ، وتابعت دراستي الإعدادية والثانوية والجامعية ، ولي قريب يخطب في مسجد ـ ابن عم والدي ـ هذا المسجد خطب فيه سبعين عاماً ، ثم أصابه مرض قبيل وفاته فطلب مني أن أخطب مكانه .

الأستاذ وائل :

مسجد الجد عبد الغني النابلسي .

الخطيب الذي لا يعتني بخطبته لا يعترف بقيمة المنبر :

الدكتور راتب :

نعم ، بدأت بالخطابة في عام أربعة وسبعين ، وعاهدت الله عز وجل ألا أقول كلمة للناس لا أطبقها في حياتي الخاصة ، وإنني أرى أقوى موقف للداعية هو ألا يرى الناس مسافة بين أقواله وأفعاله ، مرة زرت الشيخ الشعراوي رحمه الله مرتين في القاهرة ، في المرة الثانية رجوته أن يقدم نصيحة للدعاة ، كنت أتوقع أن يتكلم ساعة أو أكثر فإذا بها جملة واحدة قال لي : ليحذر الداعية أن يراه المدعو على خلاف ما يدعو .

شيء آخر : كنت أعتني بالخطبة كثيراً ، أقول : من دعا الناس إلى المسجد لصلاة الجمعة ؟ الله جلّ جلاله قال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

(سورة الجمعة)

فما دام الله هو الذي دعا الناس إلى هذا المسجد ينبغي أن أعتني بهذه الخطبة ، أنا أذكر أنني لسنوات كثيرة تزيد عن عشرين عاماً أبدأ بها من يوم السبت تحضيراً ، أنا أحترم المستمع ، أحترم الذي اختار هذا المسجد ليستمع خطبتي ، ينبغي ألا تلقي كلاماً على عواهنه، ينبغي ألا تلقي كلاماً ارتجالاً ، ينبغي ألا تتحدث عن خواطر تأتيك أثناء الخطبة ، مرة سألوا رئيساً أمريكياً كم تعد لخطاب عشر دقائق ؟ قال: ثلاثة أيام ، كم تعد لخطاب ساعة ؟ قال ساعة ، قال : كم تعد لخطاب ثلاث ساعات ؟ قال : لا أعد إطلاقاً ، خواطر تأتيني أذكرها ، فحينما تكون الخطبة محددة ، والخطبة هي النافذة الوحيدة إلى السماء، الإنسان غارق بالمشاهد الإعلامية ، وأخبار الصحف والمجلات ، أخبار التجارة ، والصناعة ، والزراعة ، أخبار العملات ، أخبار الدول ، أسبوع بكامله غارق في أخبار لا تنتهي ، يأتي يوم الجمعة ليستمع إلى كلمة الحق ، فالخطيب الذي لا يعتني بخطبته هو لا يعترف بقيمة هذا المنبر ، هذا المنبر الطرف الآخر يتمنونه .

صلاة الجمعة عبادة تعليمية وعلى قدر عظم الداعي يكون الإعداد لخطبتها :

في العالم الإسلامي هناك عبادة تعليمية ، هذا الدين العظيم فيه عبادة تعليمية ، فالخطيب حينما يلقي خطبة لابدّ من إلقاء حقيقة ، آية ، حديث ، قصة ، حكم شرعي ، موقف الصحابة ، نحن في ديننا هناك عبادة اسمها صلاة الجمعة ، عبادة تعليمية بل إن الله عز وجل حينما قال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)

(سورة الجمعة)

قال علماء التفسير : ذكر الله الخطبة ، من أولها ، أنا حينما شعرت أن الله عز وجل دعا الناس إلى صلاة الجمعة ، فالداعي هو الله ، وعلى قدر عظم الداعي يكون الإعداد للخطبة .

الأستاذ وائل :

نقف عند قريبك الذي كان يخطب سبعين عاماً وكان قدراً أن تخطب مكانه ، ما أعددت لذلك من قبل ، لا كنت تتمنى ؟

الدكتور راتب :

أنا أتمنى أن أكون داعية من صغري ، لكن الذي حصل أنا درست الأدب العربي، وأنا مدرس في الجامعة في الأدب العربي .

الأستاذ وائل :

و كان ليس في الإمكان أبدع مما كان .

الله عز وجل حكيم يسوق عباده بحسب طلباتهم العميقة :

الدكتور راتب :

لذلك هناك نقطة دقيقة قال : كن لي ما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، سيدنا موسى ذهب ليأخذ قبساً من نار لعلهم يصطلون ، فناجاه الله عز وجل :

(إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10))

(سورة طه)

ذهب ليأتي بقبس فإذا المناجاة كانت في هذا الوقت .

الأستاذ وائل :

كن لي ما لا ترجو أرجى منك لما ترجو .

الدكتور راتب :

كن لي ما لا ترجو أرجى منك لما ترجو .

هناك شيء آخر : الله عز وجل حكيم يسوق عباده بحسب طلباتهم العميقة ، الإنسان ميسر لما يختار ، اختار الدعوة إلى الله ، الإنسان ييسر إليها ، فلعل الله عز وجل يسر لي هذه الخطابة .

الأستاذ وائل :

كان في تعليم حضرتك في الابتدائية ، والإعدادية ، والثانوية ، حرصاً وشرفاً باللغة العربية ، فكان هذا منطلق للقرآن والدين .

اللغة العربية من أكثر المواد التصاقاً بالدعوة إلى الله :

الدكتور راتب :

والله أرى أن اللغة العربية علاقتها بالدعوة علاقة متينة جداً ، لأنه لا يوجد دعوة تستمر وتنتشر في العالم باللغة العامية ، فحينما يكون الداعية ضعيفاً باللغة تضعف دعوته ، اللغة وعاء ، يوجد وعاء كريستال وشراب نفيس شيء رائع جداً ، الشراب النفيس مع وعاء سيء يذهب قيمة الشراب ، فالحق قيمة كبيرة جداً ، حينما نستخدم لها لغة دارجة عامية تضعف قيمتها ، لذلك أرى أن اللغة العربية من أكثر المواد التصاقاً بالدعوة إلى الله ، لذلك الله عز وجل يسر لي هذا الفرع في الجامعة .

الأستاذ وائل :

بدأ حضرتك أولى خطوات الخطابة في مسجد عبد الغني النابلسي .

الدكتور راتب :

ولا أزال ، وأخطب في الأموي أيضاً .

الأستاذ وائل :

حضرتك بدأت بعد ذلك في الماجستير ، والدكتوراه من خارج سوريا ، كيف كانت رحلتك للحصول على الدكتوراه ؟

التعليم أعظم عمل على الإطلاق :

الدكتور راتب :

والله أنا موضوع التربية والتعليم ضمن اهتمامي الكبير ، أنا نشأت نشأة علمية ، لذلك لا أرى عملاً أعظم من التعليم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((إنما بعثت معلما))

[ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو]

((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))

[أحمد عن أبي هريرة]

أنا أقول كلمة : هناك عمل مجزئ لذاته ، و عمل مجزئ لغيره ، فالذي يبني البناء الإسمنتي في الشتاء، والبرد شديد لا يحتمل ، ويقف على خشبة خطرة جداً ، لماذا يُقبل على هذا العمل ؟ للأجر الكبير الذي يأخذه ، فهو يقبل على هذا العمل لا لذاته بل لغيره ، العمل متعب ، فيه خطورة ، وفيه مشقة ، أما حينما نعين إنساناً مدمناً على المطالعة ، أمين مكتبة ، أصبحت المتعة في عمله ، لذلك هناك

أعمال مجزية لذاتها ، أنا أحب العلم فحينما رأيت من درسني بدرجة عالية من الفهم والتأثير ، طمحت أن أكون مدرساً ، فسلكت طريق التدريس ، والتدريس من أرقى المهن ، النبي كان معلماً ، الحقيقة النجار علاقته بالخشب ، والحداد بالحديد ، والمحامي مع الأشخاص المنحرفين ، والطبيب مع المرضى، أما المعلم مع أطهر نخبة في المجتمع ، تتعامل مع إنسان ، مع طفل صغير ، مع شاب في مقتبل الحياة ، يحتاج إلى مبادئ ، إلى قيم ، إلى نماذج بطولية ، يحتاج إلى شخصية يقتدي بها ، أو ينظر إليها نظرة إكبار ، يحتاج إلى مثل أعلى ، فالذي يذوق طعم التعليم لا يرى شيئاً يقابله إطلاقاً ، أنا عملت ثلاثة وثلاثين عاماً في التعليم الجامعي والثانوي ، كنت أتمنى ألا أستقيل أبداً لكن طبيعة السن والعمر تقتضي ذلك .

الأستاذ وائل :

لهذا الكلام الجميل حضرتك الذي ذكرته دكتور كانت رسالة الدكتوراه في تربية الأولاد في الإسلام .

الإنسان يسلم بالاستقامة ويسعد بالعطاء ويستمر وجوده بتربية أولاده :

الدكتور راتب :

أنا في الحقيقة هذا الموضوع أهتم به كثيراً ، أنا أرى أن أولادنا الورقة الرابحة الوحيدة ، أو الأصح لم يبقَ في أيدي المسلمين من ورقة رابحة الوحيدة إلا أولادهم .

أقول : لو بلغت أعلى منصب في الأرض ، وجمعت أكبر ثروة فيها ، ونلت أعلى شهادة في الأرض ، ولم يكن ابنه كما تتمنى فأنت أشقى الناس ، هناك ارتباط عضوي بينك وبين أولادك ، لأن الله عز وجل قال :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ)

(سورة الطور الآية : 21)

أي الذي يعلم أولاده يعد الابن الورقة الرابحة في حياته ، والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم :

((أفضل كسب الرجل ولده))

[الطبراني عن أبي بردة بن نيار]

خير من كل شيء ، لأن هذا استمرار له .

أستاذ وائل الإنسان جُبل على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، سلامة وجوده بطاعة الله ، أنت آلة معقدة جداً لك صانع عظيم هو الله عز وجل ، وهناك تعليمات التشغيل والصيانة ، فأنت انطلاقاً من حرصك على سلامتك كما تنطلق أنت من حرصك على آلة غالية الثمن ، عظيمة النفع ، كثيرة الفائدة ، تتبع تعليمات الصانع بدقة مذهلة ،

فالإنسان انطلاقاً من حبه لذاته ، لأنه جُبل على حبّ سلامة وجوده يستقيم على أمر الله ، لكن الرقي عند الله يحتاج إلى عطاء ، استقامة سلبية يقول لك : ما كذبت ، ما اغتبت ، ما أكلت مالاً حراماً ، فالاستقامة طابعها امتناع ، العمل الصالح طابعه عطاء ، أن تعطي من مالك إذا كنت غنياً ، أن تعطي من علمك إذا كنت عالماً ، أن تعطي من جاهك إذا كنت قوياً ، أن تعطي من اهتمامك إذا كنت مهتماً بموضوع معين ، فالحياة أساسها العطاء للمؤمن ، لذلك تسعد بالعطاء ، تسلم بالاستقامة وتسعد بالعطاء، ويستمر وجودك بتربية أولادك ، أنت مجبول على سلامة وجودك ، وعلى كمال وجودك ، وعلى استمرار وجودك .

الأستاذ وائل :

حضرتك أكملتها بالاستقامة والعطاء وتربية الأولاد .

أشقى الناس من لم يكن ابنه كما يتمنى :

الدكتور راتب :

الاستقامة تحقق سلامة الوجود ، وكمال الوجود بالعطاء ، ترقى عند الله به ، أما استمرار الوجود بتربية أولادك ، لذلك الآن أكبر مشكلة يعاني منها المسلمون أولادهم ، الأب في واد ، والأولاد في وادٍ آخر ، لذلك قال تعالى :

(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117))

(سورة طه)

بحسب السياق اللغوي فتشقيا ، قال علماء التفسير : هذا إيجاز بليغ ، لأن شقاء الزوج شقاء حكمي لزوجته ، أنا أقيس على هذه القاعدة أن شقاء الابن شقاء حكمي لأبيه وأمه، مرة كنت في أمريكا قلت لهم : لو بلغت منصباً ككلينتون ، وثروة كأوناسيس ، وعلماً كأينشتاين ، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس .

الأستاذ وائل :

مع كمال العلم والثروة .

الدكتور راتب :

الأخوة المسلمون الذين أرادوا أن يكونوا في العالم الغربي ، حياتهم ناعمة جداً ، مرفهة جداً ، أموال وفيرة ، بيوت فخمة ، طبيعة جميلة ، أما إذا سألتهم عن أولادهم يكادون يموتون ألماً ، لذلك لن تسعد إذا شقي الابن ، الأب يشقى بشقاء ابنه .

من خسر ابنه خسر كل شيء :

هذا الموضوع يهمني كثيراً ، أنا ألقي درساً أسبوعياً في دمشق ، سوف يبث في بعض الفضائيات ، حول تربية الأولاد في الإسلام ، من أهم الموضوعات التي عالجتها في دروسي في المساجد هذه السلسلة ، أذيعت في بعض الإذاعات عشر مرات ، تركت أثراً كبيراً جداً ، تربية الأولاد في الإسلام ، أنا كيف أربي ابني ؟ كيف يكون ابني على شاكلتي ؟ كيف يؤمن بما آمنت ؟ كيف يتمتع بإيمان بقيم كالقيم التي آمنت بها ؟ هذا يحتاج إلى جهد كبير ، لكن الأب أحياناً يهمل أولاده ، فيكتشف فجأة أنه خسر أولاده ، والإنسان الذي يخسر أولاده خسر كل شيء ، خسر استمرار وجوده ، خسر شيئاً أساسياً في حياته ، ابن الإنسان جزء منه، إنسان يمشي في الطريق وجد شباباً ثلاثة يدخنون أحدهم ابنه ، يكاد يغلي كالمرجل لأن ابنه أحدهم ، الثاني ابن أخيه ، أقل بكثير ، الثالث رفيق ابن أخيه لا يتأثر إطلاقاً ، فالابن أنت ترتبط به ارتباطاً عضوياً ، و الأب حينما يسعى لتربية أولاده يحقق السعادة في الدنيا لذاته قبل كل شيء ، هذه سماها الله قرة العين :

(رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)

(سورة الفرقان)

فأنت حينما تربي أولادك تكون أسعد أب في الأرض ، أنا أعرف آباء كثيرين يسعدون بأولادهم ، وأعرف آباء والله قال لي أحدهم مرة : لو أن ابني مات بحادث سيارة لأقمت احتفالاً من شدة شقاء هذا الابن ، الابن يشقي أو يسعد لا يوجد حل وسط ، فالأب الذي ينتبه لأولاده يكون أباً عاقلاً ، ومؤمناً ، ويسعى لراحتهم النفسية في الدنيا و الآخرة .

الأستاذ وائل :

من هذا المعنى ذكرنا هذا بالنبي يوم فتح مكة ، عندما أخذ اللواء من سيدنا سعد بن عبادة ، فسأله سيدنا سعد بن عبادة لمن تعطه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لابني ، فكان هذا برداً وسلاماً ، لا نجد إنساناً يسعد بأن يتفوق عليه أحد آخر إلا ابنه ، في هذا المنطلق وضعت حضرتك كتاباً يدرس ودرس سنوات طويلة فوق العشر سنوات للأدبي والعلمي تعلمت منه أجيال في سوريا .

من طلب من الله شيئاً فحق على الله أن يعطيه هذا الشيء إن كان صادراً عن إيمان حقيقي :

الدكتور راتب :

الحمد لله ، والله أنا اخترت مقالات فيها عمق كبير ، وفيها بطولة فذة ، هذه المقالات قدمتها بهذه الكلمة: إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلما تنقضه الأيام، إذا كان صادراً حقاً عن إرادة

و إيمان .

أنت حينما تطلب من الله شيئاً حق على الله أن يعطيك هذا الشيء ، هكذا أراد الله عز وجل :

(كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً)

(سورة الإسراء)

فالبطولة أن تختار الشيء النفيس ، أن تختار الآخرة :

(أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38))

(سورة التوبة)

بطولة الإنسان أن يرسخ المبادئ الأخلاقية والدينية و القيم الحضارية :

آيات كثيرة جداً :

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً)

(سورة السجدة الآية : 18)

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36))

(سورة القلم)

(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)

(سورة القصص)

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية الآية : 21)

الحقيقة أردت من هذا الكتاب أن يكون ترسيخاً لمبادئ أخلاقية ودينية ، وترسيخاً لقيم حضارية نحن في أمس الحاجة إليها ، في مرحلة حرجة ، وأنا أقول الكتاب المدرسي أخطر كتاب ، لأن الطلاب ملزمون أن يقرؤوه ، ويدرسوه ، ويفهموه ، ويقدموا فيه امتحاناً ، فإذا كانت أفكاره دقيقة وعميقة وفق المنهج الصحيح نكون قد قدمنا لهذه الأمة رسالة عالية جداً لشبابها .

الأستاذ وائل :

هل ترى منهج التعليم الآن كما تتمنى دكتور ؟

الدكتور راتب :

والله أنا أؤمن بحقيقة دقيقة ، أن الأصل في التعليم هو المعلم ، المعلم الجيد يلغي المنهج السيئ والكتاب السيئ .

الأستاذ وائل :

وإن كان ملزماً بهذا المنهج .

المعلم هو الإنسان الأساسي في حياة الأمة :

الدكتور راتب :

له أساليب يلغي ، والمعلم السيئ لو كان المنهج جيداً ، والكتاب جيداً يبقى الكتاب والمنهج تابعاً للمعلم ، المعلم هو الإنسان الأساسي في حياة الأمة ، أنا أرى ما من فئة في المجتمع أخطر على مستقبل أمة من معلميه ، إنسان تسلم أولادك ، فلذة أكبادك ، تسلم عقيدتهم، أخلاقهم ، عاداتهم ، تقاليدهم ، فكلامه منهج، تصرفه منهج ، فإذا كان المعلم ضعيف الشخصية ، غير منضبط دينياً ، نحن أسأنا إلى أمة بأكملها ، أنا أرى أن تقدم الأمة يبدأ من اختيار معلمين كبار لأجيالها .

((إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا))

[ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو]

((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ))

[أحمد عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

الأستاذ وائل :

هذا المنهج الراقي والرائع ، سئل عن التعليم في اليابان فقالوا : نعطي المعلم حصانة الوزير ، أو حصانة الدبلوماسي ، ونعطيه راتب وزير ، أن نعطي لأبنائنا حياة بالعلم، هل ترى أن المعلمين يجب أن يختاروا بشكل دقيق ؟

التعليم يتذبذب بين أن يكون أقدس عمل على الإطلاق و بين أن أتفه عمل على الإطلاق :

الدكتور راتب :

كان عندنا في سوريا وزير تربية من كبار العلماء ، كان أستاذي في الجامعة ، وله كلمة قال : إذا أردت أن أدعو لإنسان أن يكون أسعد الناس أدعو له أن يكون معلماً ، وإذا أردت أن أدعو على إنسان أن يكون أشقى إنسان أدعو عليه أن يكون معلماً ، سألناه كيف؟ قال : المعلم بلا رسالة أشقى مهنة في الأرض ، موضوع معلومات ، وقيم ، ويتقاضى أجراً لا يكفيه أياماً معدودة ، أما إذا كان المعلم صاحب رسالة ، فهو أعظم إنسان في الأرض ، أي هذا التعليم يتذبذب بين أن يكون أقدس عمل على الإطلاق يرقى إلى صنعة الأنبياء ، وبين أن يكون أتفه عمل على الإطلاق لا يستأهل إلا ابتسامة ساخرة ، كيف؟ حينما تبذل من أجل الطالب الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، من أجل أن ترسخ فيه القيم ،

والمبادئ ، والأخلاق ، هذا أرقى عمل يقترب من صنعة الأنبياء ، وحينما تعطيه دروساً خاصة من أجل أن تكسب ماله ، أو أن تبتز ماله ، وأنت لا تعتقد لا بما تقول ، ولا تنضبط بما تقول ، وأنت في واد ، والقيم في واد آخر ، المعلم هو أشقى الناس ، لأن مهنة التعليم أقل المهن دخلاً وأصعبها جهداً ، التعليم يحتاج إلى جهد كبير جداً ، الإنسان الموظف ينام ساعة إذا أراد يقرأ جريدة ، يشرب فنجان قهوة، المعلم يواجه خمسين طالباً ، يتكلم كلاماً مركزاً ، ودقيقاً ، وإلا تقوم الدنيا عليه .

الأستاذ وائل :

ما بين رسالة الدكتوراه تحمل تربية الأولاد في الإسلام ، وما بين كتاب يُدرس لسنوات طويلة ، إلى برامج مؤثرة جداً ، حقيقة كل المشاهدين والمستمعين وقفوا عند سلسلة أسماء الله الحسنى التي كانت مئتي حلقة ، الحقيقة استفادت منها الأمة بهذا الشرح الوافي ، والتطبيق الجميل لمعان لم تكن بالأذهان .

الدكتور راتب :

هل تصدق أنني قدمتها هدية ، قدمتها هدية ، والله الدرس الواحد يكلفني تحضير ست ساعات ، أنا أحترم المستمع إلى درجة لا تنتهي ، أراجع كلمة كلمة ، حديث حديث ، نص نص ، فلذلك هناك توفيق إلهي ، هذه السلسلة أمضيت فيها ثلاث سنوات تحضير ، وبثت على ثلاث سنوات ، مئتا حلقة ، وقدمتها لوجه الله عز وجل لقناة الرسالة ، فأسأل الله عز وجل أن يكافئني في الآخرة .

الأستاذ وائل :

في هذا الموقف أنا لا أعلم من قبل ، ما قرأت عن حضرتك ، لكن وجدت أن هناك تشابهاً بينك وبين الشيخ الشعراوي ، هل هناك ارتباط ؟

من لم ينتم إلى مجموع المسلمين فليس بمؤمن :

الدكتور راتب :

أنا أحبه كثيراً ، الشيخ الشعراوي أرى أنه حقق إنجازاً كبيراً في الدعوة ، هذا الإنجاز أساسه أنه بسط الدين ، الدين أستاذ وائل كالهواء يجب أن يستنشقه كل إنسان ، الدين لا يحتكر ، لا تحتكره أمة ، ولا صقع ، ولا مصر ، ولا إقليم ، ولا حقبة من الزمن ، ولا فئة، ولا طائفة ، ولا مذهب ، الدين كالهواء للإنسان ، والدين ليس خطاً ، أكبر شيء في الجماعات الإسلامية أن كل جماعة تتوهم أن الدين خط ، هو خطها فإذا خرجت عنه قيد أنملة خرجت من الدين ، لا ، الدين تيار عريض ، فيه اليمين واليسار ، وكل من في هذا التيار على العين والرأس ، كل من في هذا التيار ما دامت العقيدة صحيحة ، والسلوك مستقيماً، اختلاف وجهات نظر ، هذا اختلاف تنوع لا اختلاف تعنت ونقمة ، فلذلك أنا أرى أن الدين ما

لم يكن انتماؤك إلى مجموع المؤمنين فلست مؤمناً ، أما أن تنتمي إلى فقاعات صغيرة هذا ليس من جماعتنا ، من أنت ؟ هذا مسلم وكفى به شرفاً أن يكون مسلماً .

الابتعاد عن الخلافات التي تفتت الأمة :

هناك ملمح دقيق في القرآن :

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215))

(سورة الشعراء)

الآية الثانية :

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88))

(سورة الحجر)

الأستاذ وائل :

ما الفرق ؟

الدكتور راتب :

الفرق أنت لكل المؤمنين ، المؤمن الصادق ينتمي لمجموع المؤمنين ، قد ينشأ في جماعة محدودة ، لكن هذه الجماعة لا تمنعه أن ينتمي لمجموع المؤمنين ، لذلك الجماعات الإسلامية حينما تتوهم أن خطها الديني خط رفيع ، وكل من خرج عنه قيد أنملة خرج عن الدين هنا المشكلة صار بأسنا بيننا .

الأستاذ وائل :

كثير من الشباب يقول بآراء ، أقول له : ما وجهة نظرك فيها ؟ يقول : هكذا تقول الجماعة.

الدكتور راتب :

والله أيها الداعية بإمكانك أن تدعو إلى الله مئة عام بالمتفق عليه ، من دون أي مشكلة ، أنا في دعوتي لخمسة وثلاثين عاماً ما عالجت قضية خلافية ، لذلك جميع الفئات يقبلون دعوتي ، أنا مع الأصل الواحد الموحد ، الجذع واحد موحد ، فيه أغصان ، أنا مع الجذع .

الأستاذ وائل :

أنا أرى هذه الخلافات فتت الأمة .

الدكتور راتب :

طبعاً بأسنا بيننا .

الأستاذ وائل :

ما الحل ؟

التجديد في الدين أن ننزع عنه كل ما علق به مما ليس منه فقط لأنه وحي السماء :

الدكتور راتب :

نحتاج إلى وعي ، الدعوة إلى الله دعوتان دعوة إلى الله خالصة ، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاتباع ، أما إلى الذات الابتداع ، كيف يقول إلى الناس أنا وحيد في الأرض ؟ يخترع شيئاً ليس من الدين ، بالمناسبة أنا أفهم التجديد في الدين فهماً دقيقاً جداً ، التجديد في الدين أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه فقط ، الدين توقيفي ، الدين وحي السماء ، الدين من عند الكامل كمال مطلق ، الدين لا يبدل ، ولا يعدل ، ولا يطور ، ولا يختصر ، ولا يزاد عليه ، ولا يحذف منه ، الدين توقيفي ، منهج سماوي ، أما الثقافة الأرضية منتج أرضي خاضعة للتبديل ، والتعديل ، والتطوير ، والزيادة ، والحذف ، فالدين توقيفي ، التجديد في الدين أن ننزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه ، عندنا بناء في دمشق قديم جداً من الحجر ، هذا الحجر مع مضي الأيام أصبح أسود ، هو الغبار و الدخان ، كيف جددوه ؟ ضربوه بالرمل فعاد لونه الطبيعي ، هذا هو التجديد في الدين ، نزعنا عن هذا البناء ما علق به من غبار ومن دخان فرجع إلى لونه الطبيعي .

الأستاذ وائل :

ما الفرق بين تجديد الخطاب الديني ؟

الدكتور راتب :

الدين لا يجدد ، أما الخطاب يجدد ، قد نستخدم الانترنيت ، وسائل النشر المعروفة الآن القصة ، نستخدم الموضوع العلمي .

الأستاذ وائل :

كيف نوجه رسالة للدعاة عندما يخرج على المنبر ويتكلم ؟

الدعوة إلى الله خالصة والدعوة إلى الذات معها مكاسب دنيوية :

الدكتور راتب :

أنا سأتابع ، هناك دعوة إلى الله خالصة ، ودعوة إلى الذات معها مكاسب دنيوية أساسها الابتداع ، يبتدع لينفرد ، فإذا انفرد عتم على من حوله ، هذه مشكلة ، أما الدعوة الخالصة أساسها الاتباع لا الابتداع ، الدعوة الخالصة أساسها التعاون لا التنافس ، الدعوة إلى الله الخالصة أساسها الاعتراف بالآخر لا إلغاء وجوده ، الدعوة إما أن تكون للذات معها مكاسب دنيوية كثيرة جداً ، هذه فيها ابتداع ،

وتنافس ، وإلغاء الآخر ، أما الدعوة الخالصة فيها اتباع ، فيها تعاون ، فيها اعتراف بالآخر .

الأستاذ وائل :

منهج الدعوة إلى الله خاصة للخطباء كيف ؟

العاقل من عرض الدين عرضاً صحيحاً مؤصلاً دون أن يدخل في أي مشكلة مع الآخر :

الدكتور راتب :

والله أنا مرة قرأت مجلة تموينية في سوريا ، التموين أبعد موضوع عن الدين هو طعام وشراب ، هذه المجلة تبين أن وزير التموين أمام أحد الخيارين ـ إذا كان هناك باعة سيئون جداً ، يغشون الناس ، أسعار مرتفعة ، بضاعة فاسدة ـ خيار القمع ، أو تدخل إيجابي، القمع يرسل الموظفين ، يغلق المحلات، يختمها بالشمع الأحمر ، هذا القمع ، أما التدخل الإيجابي أن يفتح مؤسسات استهلاكية ، يبيع فيها أفضل بضاعة ، بأرخص سعر ، بأطيب معاملة ، يسحب إليه كل الناس ، هؤلاء السيئون إن لم يقلدوا يموتوا من الجوع ، أنا هذا منهجي في الدعوة ، بحياتي ما هاجمت اتجاهاً ، أنا لا أنتقد أحداً ، أنا أعرض الإسلام عرضاً متماسكاً مؤصلاً بالأدلة النصية والعقلية ، هذا منهجي ، أنا لا أتحدث عن أحد أتحدث عن الله ورسوله وصحابته فقط ، لأن النبي قال : " خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ".

أنا أكتفي بهذه الحقب الثلاث المتألقة ، المزدهرة ، من الصحابة ، والتابعين ، وتابعي التابعين ، هؤلاء مثلوا هذا الدين تمثيلا حقيقياً ، الكتاب والسنة منهج أساسي لنا ، فمنهجي في الدعوة هذا المنهج الذي اقتبسته من مقالة التموين .

أنا أعرض الدين عرضاً صحيحاً ، مؤصلاً ، واقعياً ، متكاملاً ، دون أن أدخل في أي مشكلة مع الآخر، أرى أن هذا منهج منهج الدعاة يجمعهم ولا يفرقهم .

الأستاذ وائل :

لمن يريد أن يكون مقتدياً من عطائك ، خمسة وثلاثون عاماً ما شاء الله كيف تعد للخطبة دكتور ؟

بطولة الداعية أن يحسن اختيار الموضوع وعرضه :

الدكتور راتب :

والله أنا أولاً أعد بطولة الداعية أن يحسن اختيار الموضوع ، أنا أذكر أن هناك خطيباً من دمشق ـ هكذا سمعت ما سألت عن اسمه ـ بعد سقوط بغداد تحدث في خطبته عن كسر همزة إن وفتحها فقط ، الخطبة حول قضية لغوية صغيرة جداً ، أنا أعتقد أن بطولة الخطيب أن يعالج موضوعاً يمس جميع

الناس ، يجب أن تقدم للناس تصوراً إسلامياً لما يجري في الأرض ، مثلاً كاد المسلمون أن يصلوا إلى ثقافة اليأس ، والإحباط ، والطريق المسدود ، فجاء انتصار أخوتنا في غزة كجرعة منعشة ، وقفوا هؤلاء العشرة آلاف أمام أكبر جيش في المنطقة ، استعدنا نشاطنا ، استعدنا ثقتنا بربنا ، استعدنا ثقتنا بهذا الدين العظيم ، استعدنا ثقتنا بتاريخنا ، جاء انهيار النظام المالي في العالم لأن هناك ربا ، وهناك بيع الدين ، كلاهما محرم عندنا ، فاستعدنا أيضاً عظمة نظامنا الإسلامي ، جاء قبل شهر إغلاق النوادي الليلة في روسيا ، معنى هذا أن إسلامنا هو العظيم ، قبل انهيار الاتحاد السوفيتي حرم الخمر، هذه كلها جرعات منعشة لنا .

أنا أقول الكلام الدقيق لو أن جهة في الأرض قوية قوة بالغة خططت لبناء مجدها على أنقاض الشعوب، لبناء حريتها على قهر الشعوب ، لبناء كرامتها على إذلال الشعوب ، لبناء ثقافتها على محو ثقافة الشعوب ، اسمع ما سأقول لك ، ما سأقوله أؤمن به بكل خلية في جسمي ، وكل قطرة في دمي ، أن تنجح خططها على المدى البعيد هذا يتناقض مع وجود الله، من أجل أن نطمئن يقول عالم أمريكي هداه الله إلى الإسلام ، التقى بالجالية الإسلامية في بريطانيا قال : "أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اليوم اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء ، هم أضعف الناس الآن ، ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام، بشرط أن يحسنوا فهم دينهم ، ويحسنوا تطبيقه ، وأن يحسنوا عرضه على الطرف الآخر" .

العقل و الدين صنوان :

ذكرت قبل قليل عن الشعراوي ، قلت لك : هو استطاع أن يبسط الدين ، وأن يطبقه، وأن يعقلنه ، بسطه ، وطبقه ، وعقله ، والآن الدين بحاجة إلى تبسيط ، شخص أسلم عن طريق شيخ من بلد إسلامي، تركه ستة أشهر بأحكام المياه ، حكم الوضوء بماء كذا ، فلم يتحمل فترك الدين ، التقى مع شيخ كبير ، قال له : الماء الذي تشربه توضأ منه ، انتهى الأمر ، أنا أريد تبسيط الدين ، وأريد تطبيقه، وأريد عقلنته ، ألا تحارب العقل ، العقل والدين صنوان ، الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط ، خط النقل الصحيح ، و خط العقل الصريح، و خط الفطرة السليمة ، و خط الواقع الموضوعي ، العقل الصريح لا التبريري ، و النقل الصحيح غير الموضوع ، والفطرة السليمة غير المنطمسة ، و الواقع الموضوعي لا المزور، يلتقيان .

الأستاذ وائل :

هذه القيمة نحتاج لشرح هذا المعنى ، حضرتك لك كتاب مع اللقاء مع الشعراوي .

الدكتور راتب :

هما لقاءان التقيت به ، هناك لقاء فرغته كان مسجلاً وصنعت منه هذا الكتاب مع تحليل وتنقيح .

الأستاذ وائل :

هل ترى في هذا الزمان فئة من الناس تعود إلى العلم الذي نتكلم عنه ، إلى العطاء، هل ترى أن هناك خلاصة الجهل في الأمة ؟

الغرب انتهى كحضارة وبقي قوة غاشمة ولم يبقَ على ساحة المبادئ والقيم إلا الإسلام :

الدكتور راتب :

أنا متفائل ، الذي حصل على ساحة المبادئ والقيم ، كان هناك كتل ثلاث ، الغرب والشرق والإسلام ، الشرق تداعى من الداخل وكفى الله المؤمنين القتال ، بقي على ساحة المبادئ والقيم كتلتان كبيرتان الغرب والإسلام ، بشكل موضوعي والموضوعية قيمة أخلاقية علمية معاً ، الغرب قوي جداً ، وغني جداً ، وذكي جداً ، قوي بسلاحه ، وغني بماله ، وذكي بتصرفاته ، يعمل بعقله ، طرح قيمة الحرية ، وقيمة الديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، وتكافؤ الفرص ، والعولمة ، واحترام جميع الأديان ، لذلك ظهر ظهوراً كبيراً فنافس الإسلام ، خطف أبصار أهل الأرض حتى أصبح الواحد من سكان الأرض يتمنى البطاقة الخضراء ، وكأنها الجنة ، الذي حصل بعد الحادي عشر من أيلول أن الغرب انتهى كحضارة وبقي قوة غاشمة ، ما فعله في أفغانستان ، ما فعله في العراق ، ما يفعله عملاؤه في فلسطين ، سقط كحضارة وبقي قوة غاشمة ، ولم يبقَ على ساحة المبادئ والقيم إلا الإسلام ، الخلاص بالإسلام ، الإسلام كدين أسهمه في الأوج أما كمسلمين ضعاف ، أرجو الله سبحانه .

الأستاذ وائل :

كيف تسدد العلم ، كيف نوجه المدرسين والدعاة والطلبة ؟

الله عز وجل لن ينصرنا إلا باتباع منهجه :

الدكتور راتب :

والله ما تمّ إهماله في ثلاثمئة عام لا يصحح في أعوام ، ثلاثمئة عام نحن نائمون ، أعدوا لنا ولم نعد لهم ، (b52)تنطلق من أمريكا تقصف أفغانستان وترجع دون أن تزود بالوقود ، هذه الطائرة صنعت عام ألف وتسعمئة وستين صالحة لألفين وستين ، أعدوا لنا ولم نعد لهم ، نحن نائمون وهم يقظون ،

نحن نائمون في ضوء الشمس ، والشمس هو وحي السماء ، هم يعملون في الظلام والذي يعمل في الظلام يسبق من ينام في ضوء الشمس .

الأستاذ وائل :

هو نائم لا يدخل السباق أصلاً ، هناك من يقول بأن الله ينصرنا بدون عدة وعتاد بل ينصرنا بهذا الدين.

الدكتور راتب :

أحمق وغبي ، الله عز وجل لا ينصرنا إلا باتباع منهجه :

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

(سورة محمد الآية : 7)

لو دعوناه ، ولو رفعنا أصواتنا بالدعاء ، ولو فعلنا كل شيء شكلي إطاري خارجي ولم نستقم على أمر الله ، الله عز وجل يقول :

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية : 33)

مادامت سنتك يا محمد مطبقة فيهم هم في مأمن من عذاب الله ، نحن ديننا إطار ، مساجد ، لقاءات ، ندوات ، مؤتمرات ، كتب ، مؤلفات ، أما السلوك اليومي غير إسلامي .

الأستاذ وائل :

نأخذ نقطة أخيرة نتكلم منها من ما شاء الله من عطائك العلمي تربية الأولاد في البيوت ، الآن هم الأمل .

أولادنا الورقة الرابحة الوحيدة في أيدينا فعلينا الحفاظ عليهم :

الدكتور راتب :

الورقة الرابحة الوحيدة في أيدينا أولادنا .

الأستاذ وائل :

كيف نعلم الولد العطاء ؟

الدكتور راتب :

القدوة ، القدوة هي كل شيء .

الأستاذ وائل :

هذا يفتقده الكبار .

الدكتور راتب :

إذا افتقده الكبار الأمر ضعيف صار .

الأستاذ وائل :

احرص على طعامك لا يأخذه أحد .

الدكتور راتب :

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

***

الأستاذ وائل :

ألم تقل لابنها هذا الطعام لا يأكله زميلك ، هذا المال إياك أن يأخذه منك أحد ، إذا جاء ابن عمك ، ابن خالك ، إياك أن يأخذ منه أحد ، إياك أن يفتح دولابك ، هذا دعوى صريحة للبخل فكيف ننشئ أجيالاً .

القدوة قبل الدعوة و الإحسان قبل البيان :

الدكتور راتب :

أنا لا أرى من وسيلة فعالة من تربية الأولاد إلا أن يكون الأب قدوة لهم ، القدوة قبل الدعوة ، الإحسان قبل البيان ، المبادئ لا الأشخاص ، المضامين لا العناوين ، والتربية لا التعرية ، التدرج لا الطفرة ، مخاطبة العقل والقلب معاً ، هذه كلها قواعد عندي ، الإحسان قبل البيان ، افتح قلب المخاطب بإحسانك ليفتح لك عقله لبيانك ، قبل أن تدعو كن قدوة ، القدوة قبل الدعوة ، الإحسان قبل البيان ، الأصول قبل الفروع ، التربية لا التعرية ، المبادئ لا الأشخاص ، المضامين لا العناوين ، هذه مبادئ في الدعوة ، نحن بحاجة إلى دعوة مؤصلة.

الأستاذ وائل :

كيف نعالج ؟

الدكتور راتب :

أكبر معاناة أن الأب بحاجة إلى تربية ، هذا الذي وكله الله إلى تربية أولاده يحتاج إلى تربية ، يتابع أفلاماً ساقطة أمام ابنه ، يكذب أمام ابنه .

الأستاذ وائل :

ما دام الأمل مفقود في الابن ومفقود في الوالد ، وحضرتك قلت قبل قليل أنك متفائل من أين التفاؤل ؟

كل محنة وراءها منحة وكل شِدة وراءها شَدَة إلى الله تعالى :

الدكتور راتب :

التفاؤل هو أن المسلمين يشبهون مريضاً معه التهاب معدة حاد ، هذا المرض قابل للشفاء ، لذلك يخضعون لحمية شديدة جداً ، الله يعالجنا معالجة شديدة جداً ، نحن في محن كثيرة ، أما أنا إيماني أن كل محنة وراءها منحة ، وكل شِدة وراءها شَدَة إلى الله ، أما الطرف الآخر إنسان معه ورم خبيث منتشر في أمعائه ، الآن الأول سأل الطبيب ماذا آكل ؟ قال له : حليب فقط ، وإياك أن تأكل غير الحليب، واخضع للمراقبة الشديدة ، والثاني قال له: كُلْ ما شئت ، أي أفضل ؟ من خضع لحمية شديدة يعالج بها أم من أطلق له أن يأكل ما يشاء وهو بمرض خبيث مستعصى شفاؤه :

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً (44))

(سورة الأنعام)

لكن الله يرحمنا ، يعالجنا ، والله عندنا مشكلات لا يعلم بها إلا الله ، في العالم الإسلامي شدة من كل الأنواع ، هذه الشدائد من أجل أن تأخذنا إلى الله عز وجل :

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21))

(سورة السجدة)

الإسلام هو الأساس و هو المقبول وحده :

ألا ترى معي أن الإسلام بدأ ينتشر بشكل عميق ؟ ألا ترى معي أن أسهم الإسلام متألقة الآن ؟ والله قبل أربعين عاماً الحديث كان عن غير الإسلام ، والإسلام كان مرفوضاً ، الآن الإسلام هو المقبول وحده ، حتى ممن يعتنق مذاهب وضعية يرى الدين هو الأساس ، هو الكبير ، متفائل لأن اليهود كانوا يبدؤون بالحرب ويحسمونها هم ، الآن فقدوا الحسم يبدؤون ولا يحسمون ، تطور خطير ، اليهود كان هدفهم الأمن ، الآن البقاء مطروح في صفوفهم ، الآن المقاومة فكر ينمو ولو قتلوا هذا المقاوم فوراءه مئة مقاوم آخر ، الأمر اختلف، أنا أعتقد كل إنسان يقدر يأخذ ظواهر الأخبار ، لكن الأبطال في السياسة يفهمون البواطن ، بالبواطن يوجد تطور نوعي لصالح المسلمين ، العالم كله يطرق أبواب المسلمين ، هؤلاء الأقوياء الذين يفتخرون بأسلحتهم يقول أحدهم : ماذا نفعل بحاملات الطائرات ؟ وماذا نفعل بالصواريخ العابرة للقارات ؟ وليس على وجه الأرض دولة تجرؤ أن تحاربنا ؟ لكن ماذا نفعل بهذا الإنسان الذي أراد أن يموت ليهز كياننا ؟ لن يتخلى عنا .

الأستاذ وائل :

الجرائم الموجدة هذه التي لم نسمع عنها من قبل في شباب الأمة وفي كل البلاد العربية ؟

الدكتور راتب :

كان قبل خمسين عاماً أبيض ناصع ، وأسود قاتم ، ومساحة كبيرة جداً رمادية ، الآن اختفت هذه المساحة الرمادية ، يوجد إما ولي أو إباحي ، الآن كل شيء واضح ، إنسانة حافظة لكتاب الله ، وإنسانة شبه عارية في الطريق ، المساحة الرمادية انتهت .

.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس